رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أين الله؟

دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية

تأليف
سليم الهلالي

الناشر
الدار السلفية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الناشر
الدار السلفية

حولي - شارع تونس مقابل محافظة حولي
تلفون: ٢٦١٧٤٢٠
ص. ب. : ٢٠٨٥٧ الصفاة - الكويت
الرمز البريدي 13069 الصفاة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أين الله؟

دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد: فإن معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الواردة في كتابه وسنة رسوله ﷺ أسمى عقائد الإسلام، حيث تتجلى لنا هذه الأهمية الكبرى في وجوه كثيرة:

أولاً ـ أن ملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيق التوحيد الذي عليه مدار كتاب الله، وبتحقيقه بعث الله رسوله لله ﷺ، وإليه دعت الرسل صلى الله عليهم وسلم من أولهم إلى آخرهم . وهو قسمان :

١ ـ التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن: إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

٢ ـ التوحيد العملي المتضمن : عبادة الله وحده لا شريك له بما شرع ، وتجريد محبته والإخلاص له ، وخوفه ، ورجاؤه ، والتوكل عليها والرضى به رباً وإلهاً ووليا ، وأن لا يُجْعَل له عدلاً في شيء من الأشياء .

وقد جمع الله سبحانه هذين القسمين من التوحيد في سورتي الإخلاص وهما:

١ ـ سورة: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي.

٢ ـ سورة: ﴿قل هو الله أحد﴾ المتضمنة للتوحيد العملي الخبري الاعتقادي.

ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر [١] والمغرب[٢] والوتر[٣].

ولقد سمع النبي ﷺ رجلاً يقرأ السورة الأولى في الركعة الأولى من صلاة سنة الفجر فقال: «هذا عبد آمن بربه»، ثم قرأ السورة الثانية في الركعة الأخرى فقال: «هذا عبد عرف ربه»[٤].

ثانياً: وقد جاءت السنة المطهرة مبيِّنة فضل هذا الأيمان وهذه المعرفة فقال ﷺ: من قرأ **﴿قل يا أيها الكافرون﴾** عَدَلَتَ له بربع القرآن ومن قرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ عَدَلَتَ له بثلث القرآن». [٥]

قلت: فإذا كانت معرفة الله تعدل ثلث القرآن فلا شك أنها ثقيلة في الميزان حبيبة إلى الرحمن.

ثالثاً: فمن عرف ربه بأسمائه الحسنى وحفظها وأحصاها

---

(١) كما في الصحيحين.

(٢) كما في مسند أحمد وغيره بسند صحيح.

(٣) النسائي والحاكم وصححه وهو كما قال.

(٤) البخاري في «جزء القراءة» ومسلم.

(٥) صحيح الجامع الصغير (٦٣٤٢)

دخل الجنة كما قال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين إسماً مائة إلاّ واحداً من أحصاها (وفي رواية: لا يحفظها أحد إلاّ دخل الجنة)»[٦].

وظل المسلمون ردحاً من الدهر ينهلون هذه المعرفة من الكتاب والسنة حتى أطلت سفسطة اليونان وفلسفة الرومان برأسها على أيدي من يبتغون الفتنة وتأويل القرآن، فاجتالوا الناس عن سيرة السلف الأول الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

لكن الله سبحانه وتعالى لا يزال يغرس لهذا الدين غرساً يصنعهم على عينه، ويستعملهم بطاعته، فنبت رجال نطق بهم الكتاب وبه نطقوا، وبهم قامت السنة المطهرة وبها قاموا فخفتوا صوت المنكر، وشدخو رأس البدعة. وأحيوا في الناس سنناً أماتها الذين في قلوبهم مرض، وأعادوا بناء العقيدة التي أعملت فيها معاولها أيدي السوء رداً وتأويلاً، وكانوا يمتحنون الناس بالسؤال الموروث عن خير نبي مبعوث الكاشف عن إيمان المرء أو مبلغ معرفته بربه أو العكس. ألا وهو قول الرسول المعصوم ﷺ للجارية: «أين الله؟» فأجابت: في السماء، فشهد لها الرسول بالإيمان وأمر بإعتاقها فقال: «اعتقها فإنها مؤمنة»

لكن أهل الأهواء المضلة، ومحبي الرياسة والسمعة الخائفين على النفس أن تؤذى في سبيل الله، وعلى المال أن ينقص لاستحواذهم على أغمار العامة وأشباه المتعلمين لا يرون من حق أو شبه حق لأحد عندهم، فيخبلون ضبط عشواء في متاهات لا أول لها ولا آخر من الآراء والأقوال والظنون، فتارة يزعمون أن هذه الأقوال مضى زمانها وانقضى أوانها، وأخرى يقولون هذه العقيدة من الأخطاء

(٦) البخاري ومسلم

الشائعة، وثالثة يزعمون أن هذه القضية لا يبنى عليها عمل ولا تؤثر في النفس البشرية فضلاً عن الحياة الإسلامية سلباً أو إيجاباً.

وجاءت جماعة لبسوا أثواب العلم في غفلة من الناس فطعنوا في صحة حديث الجارية، وتوكؤوا على روايات ليس لها قوائم فتشابهوا في رأي يبدو ضَعْفُه وَوَهاؤُه من أول نظرة، ولو كان الناظر شادياً في العلم الصحيح .

فكان ولا بد من الانتصار للحق في سطور جلية، ينبو عنه النظر الأعشى، ولا يلم بها إلاّ من أوتى حظاً وافراً من العلم الموروث عن أطباق السابقين من أسلاف هذه الأمة الصالحين.

فاستخرت الله سبحانه وتعالى، واستشرت أخوة أوفياء وأصدقاء أصفياء تجمعني بهم عقيدة التوحيد الخالصة النقية من أدران الشرك وشوائب البدع، فانشرح صدري وقويت عزيمتي على تحقيق هذا الأمر وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وكتبه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ضحى يوم الأحد لثمان ليال خلون من ربيع الأول سنة الف وأربع مائة وسبع من هجرة رسول الله ﷺ في عمان البلقاء عاصمة الأردن .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حديث الجارية رواية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عن معاوية بن الحكم السُّلميِّ رضي الله عنه :

بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وأثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمِّتونني لكني سكت، فلما صلّى رسول الله ﷺ - فبأبي هو وأمي ما رأيت مُعَلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما كهرني[٧] ولا ضربني ولا شتمني[٨] - قال: «إنَّ هذه الصَّلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التَّسبيحُ والتَّكبيرُ وقراءةُ القرآن..

(٧) أي ما انتهرني تهاوناً بي، وما استقبلني بوجه عبوس أنظر «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/٢١٢) و«لسان العرب» (٥/١٥٤).
قلت: ذكر أهل التفسير كالطبري (٣٠/١٤٩)، والقرطبي (٢٠/١٠٠) وعنهم أهل اللغة قراءة ابن مسعود: ﴿فأما اليتيم فلا تكهر﴾ [الضحى: ٩]
وهي قراءة شاذة كما في «مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، لابن خالويه (ص ١٧٥).

(٨) إنها كلمات مسكوبة بحب قلب صنعته مكارم الأخلاق التي أتمها الرسول ﷺ، وبها ألَّف الله بين قلوب الصحابة فأصبحوا بنعمة الله جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمّى والسَّهر.
وبها سلسلت أعنة قلوبهم في يد النبي الأمي؛ فآمنوا به وَعَزَّرُوهُ وَوَقَّرُوه حتى أصبح أحب الناس إليهم.
لو كان رسول الله ﷺ فَظّاً غليظ القلب، عبوس الوجه، لما استطاع أن يُكَوِّنَ الجسدَ المؤمن من نُزّاع القبائل، ولو أنفق ما في الأرض جميعاً.
فحقيق بنا نحن طلبة العلم الشرعي أن ننشأ على هذه الأخلاق الصالحة؛ فننبذ الكهر والقهر والكبر. =

أو كما قالارسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالاً يأتون الكُهَّان، قال: «فلا تأْتهم» قال: ومنا رجال يَتَطَيَّرون، قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يَصُدَّنَّهم» قال: قلت: ومنا رجال يَخُطُّون قال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خَطَّة فذاك(٩).

قال: وكانت لي جارية(١٠) ترعى غنماً لي قِبَلَ أُحد والجَوَّانيَّة(١١)

= وحري بنا نحن دعاة السنة أن نسلك هذا الأسلوب البنوي في الدعوة؛ فنربأ بأنفسنا عن الشتم والتجهيل.

إن رسول الله تَلَطَف مع الأعرابي فانهالت الأسئلة تترى، وفي هذا عبرة للمعلم ليحنو على المتعلم فيظهر ما يجهله ويسأل عنه، وإلاّ وَلّى مُدبراً ولم يُعَقِبْ.

أما آن لنا نحن اتباع السلف الصالح أن نَعْلَمَ أن ميراث النبوة ليس خَزْناً للمعلومات الصحيحة بل هو سلوك يمارس على الأرض، ويمشي بين الناس.

إننا معشر الأخوة بالحكمة والموعظة الحسنة ننفع الناس بمعلوماتنا، ويثمر علمنا واعظ الله في قلوبنا.

(٩) قال النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (٥/٢٣):

«اختلف العلماء في معناه فالصحيح أن معناه من وافق خطه فهو مباح له ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يباح والمقصور أنه حرام لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة وليس لنا يقين بها وإنما قال النبي ﷺ فمن وافق خطه فذاك ولم يقل هو حرام بغير تعليق على الموافقة لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا فالمعنى آن ذلك النبي لا منع في حقه وكذا لو علمتم موافقته ولكن لا علم لكم بها» أ هـ

(١٠) في نصف رواية أخرجها الدارمي في «الرد على المريسي» (ص ٩٥) وصفها بالأمة السوداء.

قلت: وسندها صحيح

(١١) موضع شمالي المدنية المنورة، ومن زعم أنها من عمل الفرع فقد وهم، لأن الفرع بين مكة والمدينة، وقد قال في الحديث قَبِلَ أُحد والجَوَّانيَّةَ، وأُحد في شمال المدينة فعُلِمَ أن الجَوَّانيَّة كذلك. انظر «شرح صحيح مسلم» للنوي (٥/٢٣ - ٢٤).

فاطَّلعَت ذات يوم فإذا الذِّيب قد ذهب بشاة من غنمها[١٢].

وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون[١٣] لكني صَكَكْتها[١٤] صَكّة فأتيت رسول الله ﷺ فعَظَّم ذلك عَليَّ قلت: يا رسول الله أفلا أُعتقها قال: «أئتني بها» فأَتيته فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السَّماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أَعتقها فإنها مؤمنة»

أخرجه بتمامه مسلم (٥/ ٢٠- ٢٤- نووي) واللفظ له، والبخاري في «جزء القراءة» [١٤] وأبو داود (٩٣٠)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ١٤- ١٨- شرح السيوطي) و«الكبرى» (٨/ ٤٢٧- تحفة الأشراف)، وأحمد (٥/ ٤٤٧و ٤٤٨ و٤٤٨- ٤٤٩)، وابن الجارود في «المنتقى» (٢١٢)، وأبو عوانة (٢/ ١٤١)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٢٣٧و ٩/ ٢٤٦- ٢٤٧) (٣/ ٢٣٧ - ٢٣٩ و ٩/ ٢٤٦ - ٢٤٧) .

وأخرج شطره الأول: البخاري في «خلق أفعال العباد (ص

---

(١٢) فَرَّق أهل العلم بين رعي المرأة للغنم وسفرها دون محرم فاباحوا الأول بناء على هذا الحديث وغيره، ومنعوا الثاني لورود أدلة المنع. وأنظر شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ٢٤).

(١٣) أي أغضب كما يغضبون، والأَسَف: الغضب الشديد، قال سبحانه ﴿**فلما اسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين**﴾ [الزخرف: ٥٥]
وقال جل ثناؤه: ﴿**فرجع موسى إلى قومه غضباناً أَسِفاً**﴾ [طه: ٨٦]
وكذلك شدة الحزن، قال الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿**يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين. قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون**﴾ [يوسف، ٨٤ - ٨٦]

(١٤) أي ضربتها شديداً بعريض قال تعالى: ﴿**فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها**﴾ [الذاريات: ٢٩].

٣٨ ـ ٣٩ و١٠٢) وأبو داود (٩٣١) والطيالسي (١/١٠٧ ـ منحة المعبود)، والدارمي (١/٣٥١)، والبيهقي (٢/٢٤٩ ـ ٢٥٠ و٢٥٠) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/٤٣١)، والطبراني في «الكبير»(١٩/٣٩٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/٤٤٦). وأخرج شطره الأخير:

أبو داود (٣٢٨٢) والنسائي في «الكبرى» (٨/٤٢٧ ـ تحفة الأشراف)، ومالك في «الموطأ» (٢/٧٧٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١/٣٢٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٢١و ١٢٢)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢١و٢٢) و «الرد على المريسي» (ص٩٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٥٢)، والشافعي في «الرسالة» (ص ٧٥) والأم (٥/٢٨٠)، والبيهقي في «السنن» (٧/٣٨٧) و«الأسماء والصفات» (ص ٥٣٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٩)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (٨٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٣٤- ١٣٥) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (ص٨١) وابن منده في «الإيمان» (١/٢٣٠) وعزاه بن الأثير في «أسد الغابة» إلى أبي نعيم وابن منده.

من طرق عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم [١٥] وذكره.

---

(١٥) في الموطأ» عمر بن الحكم وقال النسائي في «التفسير من الكبرى» (٨/٤٢٧ـ تحفة) «كذا يقول مالك عمر بن الحكم وهو وهم من مالك رحمه الله اتفق على ذلك أهل العلم بالرجال»

قال الشافعي رحمه الله في «الأم» (٥/٢٨٠) مستدركاً على مالك: «اسم الرجل

قلت: وهو إسناد في غاية الصحة على شرط الشيخين وقد اتفق علماء الحديث على صحة هذا الحديث لا أعلم خلافاً في ذلك واحتجوا به في مصنفاتهم.

١- الحافظ الذهبي قال في كتابه الفذ «العلو للعلي الغفار» (ص١٦): «فمن الأحاديث المتواترة[١٦] الواردة في العلو حديث معاوية بن الحكم السُّلَمي».

٢- ابن الوزير رحمه الله.

قال في كتابه المستطاب «العواصم والقواصم» (١/ ٣٧٩ -

معاوية بن الحكم كذا روى الزهري ويحيى بن أبي كثير»

وقال البغوي في «شرح السنة» (٩/٢٤٧)«... وقال عن معاوية بن الحكم وهو الصواب».

وقال ابن منده كما في أسد الغابة» (٣/٦٤٢): «وهذا مما وهم فيه مالك، والصواب معاوية بن الحكم هكذا قال ابن المديني والبخاري وغيرهما»

وقال ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/٤٣٢): «وروى مالك عن هلال بن أسامة بإسناده عن عمر بن الحكم وهو وهم».

وقال ابن حجر في«التلخيص الحبير» (٣/٢٢٢): «وأكثر الرواة عن مالك يقولون عمر بن الحكم، وهو من أوهام مالك في اسمه».

وقال ابن عبد البر: «هكذا قال مالك عمر بن الحكم، وهو وهم عند جميع أهل العلم بالحديث...» أنظر «شرح الزرقاني» (٤/٨٤) و «تنوير الحوالك» للسيوطي (٣/٥).

(١٦) الظاهر من عبارة الذهبي أنه أراد عين الحديث وفي هذا نظر، فإن حديث معاوية بن الحكم لم يبلغ حد التواتر، وإن جاء من عدة طرق واستفاض في دواوين السنة المطهرة، وكأنه لذلك قال الذهبي رحمه الله: إنه متواتر. (تنبيه) وقع في مختصر لوامع الأنوار» (ص ١٤٢) عن الذهبي: المتوافرة وهو تصحيف لأنه في الأصل «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (١/١٩٢) عن الذهبي: «وقال في الحديث ؛من الأحاديث المتواترة الواردة في العلو» فوافق ما في «العلو» وتبين أن ما في «المختصر» ليس بصواب وإنما تصحيف.

٣٨٠): «وحديثها هذا حديث ثابت خرجه مسلم في الصحيح ورواه الشافعي عن مالك وذكره ابن النَّحوي في «البدر المنير» وله طرق ذكرها ابن حجر في «تلخيصه»[١٧]

٣- ابن عبد البر رحمه الله.

قال في «الاستيعاب» (٣/٤٠٣) أثناء ترجمته لمعاوية بن الحكم: «له عن النبي ﷺ حديث واحد حسن [١٨] في الكهانة والطيرة والخط وتشميت العاطس في الصلاة جاهلا وفي عتق الجارية».

٤- البيهقي رحمه الله.

قال في «الأسماء والصفات» (ص ٥٣٣):

«وهذا صحيح قد أخرجه مسلم مقطعاً من حديث الأوزاعي وحجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية وأظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه وقد ذكرت ذلك في كتاب الظهار»[١٩].

---

(١٧) قلت: المراد «التلخيص الحبير» (٣/٢٢٢-٢٢٣).

(١٨) قَصَّرَ ابن عبد البر رحمه الله فإن الحديث صحيح لا ريب. وإن أراد أنه حسن المعنى فذاك.

(١٩) من السنن الكبرى» (٧/٣٨٨)

قلت كلام البيهقي حول عدم ذِكْر الإمام مسلم لقصة الجارية يُحْمَلُ على الوجوه الآتية:

أ- اختلاف نسخ صحيح مسلم فيكون الحديث غير مذكور في النسخة التي كانت بين يَدي البيهقي رحمه الله.

ب- أن يكون وهماً من البيهقي. رحمه الله فإن الحديث مذكور في صحيح مسلم الذي بين أيدينا.

ت- البيهقي رحمه الله يعزو أحياناً لصحيح مسلم ويكون مراده أن أصل الحديث في الصحيح. =

= والراجح عندي الإحتمال الأول وذلك أن البيهقي رحمه الله نسب أموراً إلى صحيح مسلم وعند الرجوع لم نجدها في النسخ التي بين أيدينا، وقد أشرت إلى بعض ذلك في تعليقاتي على الوصية الصغرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه (ص ٥٥) فلتراجع .

وقد استغل الكوثري كلمة البيهقي المذكورة آنفاً فَعَلَّق عليها فيما سَوَّدَهُ على كتاب الأسماء والصفات بقوله (ص ٥٣٣) « وقصة الجارية مذكورة فيما بأيدينا من نسخ مسلم لعلها زيدت فيما بعد إتماماً للحديث، أو كانت نسخة المصنف ناقصة»

هكذا قال ـ عامله الله بما يَستحق ـ متهماً الثقات بأنهم زادوا أحاديث على الصحيح دون بيِّنة وحجة وهذا يعني أنه يشكك في منزلة صحيح مسلم الذي تلقته الأمة بالقبول سوى أحرف يسيرة انتقدها العلماء كالدارقطني.

وعند التحقيق نرى احتمال الكوثري بل اتهامه يطيش فلا يقيم له أهل العلم وزناً للأمور الآتية:

١- أننا وجدنا علماء من طبقة البيهقي اثبتوا أن الحديث في صحيح مسلم في الطريق التي عزى إليها البيهقي. فقد قال الإمام البغوي في كتابه القيم «شرح السنة» (٣/ ٢٣٩): «هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن اسماعيل بن إبراهيم عن حَجّاج» .

قلت: وهذا الطريق المذكور هو الطريق الذي قال البيهقي أن مسلماً أخرجه منه دون قصة الجارية.

٢- أن العلماء الذين شرحوا صحيح مسلم اثبتوا الحديث بتمامه وشرحوه كالنووي رحمه الله (٥/ ٢٤- ٢٦).

٣- إذا أراد الكوثري من التشكيك في وجود حديث الجارية في صحيح مسلم وأنها زيدت إتماماً للحديث، وهذا طعن في صحة الحديث ـ وقد طعن.

فنقول: هل زيدت القصة أيضاً على «الموطأ» «وشرح السنة» وسنن أبي داود وعشرات المصادر التي ذكرت القصة بسند صحيح؟!

٤- أن العلماء الذين فهرسوا كتب السنة ومنها صحيح مسلم عزوا هذا الحديث لصحيح مسلم فقال المزي رحمه الله في «تحفة الاشراف» (٨/ ٤٢٦): «حديث بينا أنا أصلي مع النبي ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله. . الحديث بطوله وفيه منّا رجال يتطيرون، ومنا رجال يأتون الكهان ومنا رجال يخطون، وقصة الجارية. م في الصلاة. . .».

٥- واحتج به كثير من العلماء في مصنفاتهم كابن قيم الجوزية في «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» وابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية» والسفاريني في « لوامع الأنوار البهية» وأبي الحسن الأشعري في «الإبانه» وغيرهم جَمٌ غَفيرٌ يصعب حصرهم في هذه العجالة.

جاء في كتاب «العلو» للذهبي (ص ١٧) عن عطاء بن يسار قال: حدثني صاحب الجارية نفسه قال: كانت لي جارية ترعى. . . الحديث. وفيه: فمد النبي ﷺيده إليها وأشار إليها مستفهماً من في السماء؟ . . قالت: الله، قال: فمن أنا ؟، قالت: أنت رسول الله، قال : «أعتقها فإنها مسلمة» .

وقد حاول الكوثري «مريسي العصر» اتخاذ هذه الرواية سلماً للطعن في حديث الجارية الصحيح الذي جاوز القنطرة باتفاق علماء الحديث على إثباته ـ سنداً ومتناً .

فقال في تعليقاته على «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٢): «وانفرد برواية حديث القوم عن معاوية بن الحكم وقد وقع في لفظ له كما في كتاب العلو للذهبي ما يدل على أن حديث الجارية لم يكن إلاّ بالإشارة، وسبك الراوي ما فهمه من الإشارة في لفظ اختاره، فلفظ عطاء الذي يدل على ما قلنا هو حدثني صاحب الجارية نفسه الحديث (وذكره) ثم قال: وهذا من الدليل على أن أين الله لم يكن لفظ الرسول ﷺ، وقد فعلت الرواية بالمعنى في الحديث ما تراه من الاضطراب».

كبرت كلمة تخرج فمن فمه فقد عَمَّر دهراً، وكتب نكراً،

ويلزمه أن يثبت العرش ثم ينقش، وهيهات(!) لأن الرَّقْمَ على الماء سرعان ما يتلاشى إذا هبت عليه ريح طيبة فيها الحق المحمول على الأدلة، لذلك فبيننا وبين القوم القوائم[٢٠] لحل الخلاف القائم فإنني بحمد الله وتوفيقه وقفت على إسناد هذه الرواية بواسطة «تحفة الأشراف»، (٨/٤٢٧) رواه سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن توبة العنبري عن عطاء بن يسار قال: حدثني صاحب الجارية نفسه ـ ولم يسمّه .

قلت: وهذا إسناد لا يصح لأنه من رواية سعيد بن زيد وقد ضعفه جمع من قبل حفظه، وهاك البيان :

١ - كان يحيى بن سعيد القطان يضعفه جداً [٢١]، وكان يقول: ليس بشيء [٢٢].

٢ - قال الجوزجاني في «أحوال الرجال» (ص ١١٤): «سمعتهم يضعفون أحاديثه فليس بحجة بحال».

٣ - قال ابن حبّان في «المجروحين» (١/٣٢١): «وكان صدوقاً حافظاً ممن يخطئ في الأخبار ويهم في الآثار لا يحتج به إذا انفرد».

لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/٢٩٦): «صدوق له أوهام».

---

(٢٠) هذا من قول عبد الله بن المبارك رحمه الله فقد جعل رحمه الله الحديث كالحيوان لا يقوم بغير إسنادكما لا يقوم الحيوان بغير قوائم انظر «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/٨٨).

(٢١) أنظر «الجرح والتعديل» (٤/٢١)، «وتهذيب التهذيب» (٤/٣٢).

(٢٢) انظر «سؤالات الآجري لأبي داود» (ص ٣٥٥ - ٣٥٦).

وما في هذه الرواية من ذكر اليد والاستفهام مما خالف به الثقات مثل يحيى بن أبي كثيّر ومالك بن أنس الذين رووا حديث الجارية بلفظ «أين الله»، فهذه المخالفة تُعَدُّ عند المحدثين حديثاً منكراً.

ولم يكتف الكوثري باعتماده على هذه الرواية المنكرة لضرب الرواية الصحيحة بل نسب رواة الحديث الثقات للكذب على رسول الله حيث تصرفوا وسبكوا مرادهم في عبارة نسبوها للرسول ﷺ وهو لم يتلفظ بها.

وهذا ديدن الكوثري «مريسي العصر» لم يترك فرصة سانحة إلاّ وينسب أهل الحديث ورواته لكل سوءٍ، فتارة يزيدون في صحيح مسلم ليتموا الحديث، وأخرى ينسبون للرسول ما لم يقله و. . . .

الحق، والحق أقول: إن هذا الكوثري يدور مع الهوى حيث دار، نسأل الله السداد في القول والعمل.

إن الكوثري لم يترجل بعد فها هو يجلب بخيله ورجله على حديث الجارية ليثبت اضطرابه.

قال في تعليقاته على «الأسماء والصفات» (ص ٥٣٣) معقباً على قول البيهقي السابق: «وقد أشار المصنف إلى اضطراب الحديث بقوله» وقد ذكرت في كتاب الظهار مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث». وقد ذكر في السنن الكبرى (٣٨٧/٧) اختلاف الرواة في لفظ الحديث مع أسانيد كل لفظ من ألفاظهم وهي «أين الله فقالت في السماء» مع لفظ فإنها مؤمنة وبدونه (وأين الله فأشارت إلى السماء بإصبعها) و«من ربك؟ قالت الله ربي»

و«تشهدين أن لا إله إلاّ الله؟ قالت نعم» و«من ربك قالت الله» وقد توسعنا في شرح الحديث وبيان مبلغ اضطرابه سنداً ومتناً فيما كتباه على نونية ابن القيم (ص ٩٤) فليراجع فهناك بغية الباحث» أ هـ.

وقال الغماري مثل قول الكوثري ـ في تعليقاته على «التمهيد (٧/١٣٥): «وقد تفرّق الرواه في ألفاظه فروي بهذا اللفظ كما هنا وبلفظ «من ربك؟» قالت: «الله ربي» وبلفظ أتشهدين أن لا إله إلاّ الله؟ قالت: نعم، وقد استوعب تلك الألفاظ بأسانيدها الحافظ البيهقي في السنن الكبرى. بحيث يجزم الواقف عليها أن اللفظ المذكور هنا مروي بالمعنى حسب فهم الراوي».

قلت: والجواب على ذلك من وجوه:

أ - إن قول الغماري والكوثري ادعاء لا إثبات، والدعاوى العارية من طرق الإثبات لا يقيم لها أهل العلم وزناً، فكان من حق العلم على هذين الرجلين وأمثالهما أن يرعوا أمانته بدراسة أسانيد هذه الألفاظ المختلفة.

ب - إن حكم الغماري والكوثري على حديث الجارية بالاضطراب يثير الدهشة والاستغراب، لأنه يعني أن هذه الألفاظ المختلفة متساوية من جميع الوجوه بحيث لا يمكن الجمع ولا الترجيح، وهو ما سنبرهن على بطلانه إن شاء الله.

ت - إن قول الكوثري والغماري يعني أن الأحاديث التي أوردها البيهقي كلها تدور على حادثة واحدة، وهذا ما لا يجزم به الواقف على ألفاظها.

ث - إن البيهقي رحمه الله لم يستوعب جميع ألفاظ الحديث وطرقه.

وسنذكرها جميعاً إن شاء الله ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً وإن كان البيهقي رحمه قد ذكر جلها.

ج - إن البيهقي لم يحكم على الحديث بالاضطراب. وأما أنه ذكر الاختلافات التي وقعت فمجرد الاختلاف لا يعني الاضطراب.

وهنا يطرح سؤال ما هو الاضطراب الذي يعد عند العلماء علة توجب ضعف الحديث والطعن فيه ثم رده قال الحافظ العراقي رحمه الله في ألفيته: (٢٣)

مضطرب الحديث ما قد وردا ... مختلفاً عن واحد فأزيدا
في متن أو سند إن اتضح ... فيه تساوي الخلف إما إن رجح
بعض الوجوه لم يكن مضطرباً ... والحكم للراجح منها وجباً
كخط للسترة جسمّ الخلف ... والاضطراب موجب للضعف

ومن هذا نتبين أن للاضطراب شرطين:

١ - أن تكون الطرق المختلفة متساوية من جميع الوجوه بحيث لا يمكن الجمع ولا الترجيح.

٢ - أن تكون الطرق المختلفة مدارها على حادثة واحدة. (٢٤). فإن تحقق الشرطان فذاك، وإلاّ لم يوصف الحديث بالاضطراب حكماً ولفظاً.

وهذان الشرطان لم يتحققا في حديث الجارية الموصوف من قِبلَ الكوثري والغماري بالاضطراب، وهو ما سنبرهنه فينتفي الاضطراب أصلاً ورأساً.

---

(٢٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (١/٢٣٧).

(٢٤) انظر «تدريب الراوي» (١/٢٦٢) و«التقييد والإيضاح» (ص ١٢٤).

ولـذلك سنتكلم عـلى الألفـاظ الـواردة في سنن البيهقي سنـدا ومتناً، وصحة وضعفاً، وسنذكر ما لم يذكر في الطرق والألفاظ.

١ - أخـرج البيهقي في السنن الكـبرى (٣٨٨/٧) أخـبرنـا أبـو عـلي الروذبـاري أنـا أبو بكـر بن داسـه نـا أبـو داود أنـا إبـراهيم بن يعقوب الجوزجاني نايزيد بن هـارون أنا المسعـودي عن عون بن عبد الله عن عبد الله بن عتبة عن أبي هريـرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء فقال يـا رسول الله إن عـلي عتق رقبة مؤمنـة فقال لها: «أين الله؟» فـأشارت إلى السـماء بإصبعهـا فقال لهـا: «فمن أنا؟» فأشارت إلى النبي ﷺ وإلى السماء تعني أنت رسـول الله. فقال ﷺ : «أعتقها فإنها مؤمنة» قلت: أخـرجه أيضـاً أبو داود (٣٢٨٤)، وأحمـد (٢٩١/٢)، وابن خزيمـة في «التـوحيـد» (ص ١٢٣)، واللالكـائي في «شرح أصـول اعتقـاد أهـل السنـة والجماعة (٣٩٢/٣)، وابن قدامة المقـدسي في «العلو» (ص ١٧) من طريق يزيـد بن هارون أخـبرنا المسعـودي عن عون بن عبـد الله عن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة. وهذا إسناد ضعيف لأن مـدار جميع طـرقه عـلى المسعودي وهـو ضعيف لاختلاطـه، وقد روى عنه يزيد بن هارون في الاختلاط.

وأما متابعـة أسد بن مـوسى الملقب بـ «أسد السنـة» ليزيـد بن هارون عند ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٢٣) فـلا تفيد لأنها أيضـاً عن المسعودي. لذلـك فقول الحـافظ الذهبي في كتـابه «العلو» (ص ١٧): «رواه جمـاعة عن المسعـودي منهم يـزيـد بن هـارون وإسنـاده حسن» ليس بحسن.

٢ - أخـرج البيهقي في «السنن الكبرى» (٣٨٨/٧) أخـبرنا أبو زكريا

بن أبي إسحاق وأبو بكر بن الحسن قالا ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس (ح وأخبرنا)[٢٥] أبو أحمد المهرجاني أنا أبو بكر بن جعفر المزكي نا محمد بن ابراهيم البوشنجي نا ابن بكير نا مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ بجارية له سوداء فقال لرسول الله ﷺ إن علي رقبة مؤمنة أفأ عتق هذه. فقال لها رسول الله ﷺ: «أتشهدين أن لا إله إلاّ الله؟» قالت: نعم. قال: «أتشهدين أن محمداً رسول الله؟» قالت: نعم. قال: «أتوقنين بالبعث بعد الموت؟» قالت: نعم فقال رسول الله ﷺ: «فأعتقها».

وقال: هذا مرسل وقد مضى موصولاً ببعض معناه.

قلت: وأخرجه أيضاً أحمد (٣/٤٥١ - ٤٥٢)، ومالك (٢/٧٧٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٢٤) من طرق عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبه به.

وهو صحيح كما قال ابن كثير في تفسيره (١/٥٤٧) وجهالة الصحابي لا تضره، وأما البيهقي وقد مضى موصولاً ببعض معناه فإن أراد حديث أبي هريرة الآنف فبعيد.

قال ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٢٤ - ١٢٥): «لا شك ولا ريب أن هذا غلط ليس في خبر مالك ذكر أبي هريرة فأما معمر في

---

(٢٥) هذه إشارة عند المحدثين تعني تحويل السند أي أن المحدث سيأتي بطريق آخر عن الشيخ الذي بدأ التحويل من عنده.

رواية فإنه قال عن رجل من الأنصار وأبو هريرة دوسي ليس من الأنصار ولست أنكر أن يكون خبر معمر ثابتاً صحيحاً ليس بمستنكر لمثل عبيد الله بن عبدالله أن يروي خبراً عن أبي هريرة عن رجل من الأنصار لو كان متن الخبر متناً واحداً كيف وهما متتنان وهما في علمي حديثان لا حديث واحد، حديث عون بن عبدالله في الإمتحان إنما أجابت السوداء بالإشارة لا بنطق، وفي خبر الرواي أجابت السوداء بنطق نعم بعد الإستفهام لما قال لها: أتشهدين أن لا إله إلا الله في الخبر أنها قالت نعم وكذاك عن الإستفهام لما قال لها أتشهدين أني رسول الله قالت نعم نطقاً بالكلام، والإشارة باليد ليس (كـ) ـالنطق بالكلام، وفي خبر الزهري زيادة الإمتحان بالبعث بعد الموت لما استفهمها بالبعث بعد الموت؟ فافهموا لا تغالطوا.

وأجاز تعدد القصة ابن عبد البر كما في «شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك» (٤/٨٦): والذهبي في «العلو للعلي الغفار» (ص ١٨) قلت: وهو الصواب على فرض صحة الحديثين وقد كفانا الله مؤنة البحث عن حل وسط بين الحديثين ببيان ضعفهما والله الموفق.

٣ ـ أخرج البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٣٨٨): وأخبرنا أبو زكريا بن أبي اسحاق المزكي نا حمزة بن العباس بن الفضل الضبعي نا العباس بن محمد الدوري نا أبو الوليد هشام بن عبد الملك نا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الشَّريد بن سويد الثقفي قال قلت: يا رسول الله إن أمي أوصت أن أعتق عنها رقبة وأن عندي جارية سوداء نوبية فقال رسول الله ﷺ ادع بها فقال: من ربك؟ قالت: الله، قال: «فمن أنا؟» قالت: رسول الله قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

قلت: أخرجه أيضاً أبو داود (٣٢٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (٤/١٥١ ـ تحفة الأشراف)، وأحمد (٤/٢٢٢، ٣٨٨، ٣٨٩) من طريق حماد بن سلمة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الشَّريد بن سويد به.

وهذا إسناد حسن إن شاء الله.

وجاء أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ ولم يخرجه البيهقي ـ أن محمد بن الشَّريد جاء بخادم سوداء عجماء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي جعلت عليها عتق رقبة مؤمنة فقال: يا رسول الله هل تجزىء أن أعتق هذه فقال رسول الله ﷺ للخادم: «من ربك؟» فرفعت برأسها فقالت: في السماء فقال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، فقال: «اعتقها فإنها مؤمنة».

قلت: أخرجه البزار (١/٢٩ ـ الكشف) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٢٢) وعزاه الحافظ في «الإصابة» (٣/٧١٤) لابن منده وابن السكن والباوردي وابن شاهين من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عنه به مرفوعاً.

(تنبيه) وقع في حديث أبي هريرة اختلاف في الرجل الذي جاء إلى رسول الله ﷺ أهو محمد بن الشَّريد أم عمرو بن الشَّريد ورجح أبو نعيم الأخير كما في «أسد الغابة» (٤/٣١٩)، و«الإصابة» (٣/٥١٤) لكن الحافظ قال: «وكل ذلك غير محفوظ والمحفوظ ما أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان من طريق حماد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الشريد بن أوس وذكره» قلت: مدار الحديثين على محمد بن عمرو بن علقمة وهذا من اختلافه لكن

لا يضره هذا إن شاء الله .

قال الحافظ في «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٢/٧٧٣): «واختلاف الرواة في اسم رجل لا يؤثر ذلك لأنه إن كان ذلك الرجل ثقة فلا ضير، وإن كان غير ثقة فضعف الحديث إنما هو من قبل ضعفه لا من قبل الاختلاف الثقات في اسمه فتأمل ذلك».

٤ ـ ومن الأحاديث التي لم يخرجها البيهقي حديث ابن عباس رضي الله عنهما جاء رجل إلى النبي ﷺ ومعه جارية سوداء أعجمية فقال عليَّ رقبة مؤمنة فهل تجزىء هذه عني فقال لها: «أين الله؟» فأشارت بيدها إلى السماء، فقال: «من أنا؟» فقالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة».

قلت: أخرجه الهروي في «الأربعين في دلائل التوحيد» (ص ٥٣ - ٥٤) وقال: حديث معاوية بن الحكم أصحّ إسناداً من هذا»، والبزار (١/٢٨ ـ الكشف) من طريق أبي كريب حدثنا أبو معاوية عن سعيد بن المرزبان عن عكرمة عن ابن عباس قوله.

وإسناده ضعيف لأن فيه سعيد بن المرزبان العبسي وهو ضعيف ومدلس وبه أعلّه الذهبي فقال في «العلو» (ص ١٨): هذا محفوظ عن أبي معاوية لكن شيخه قد ضعف، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٢٤٤) «وفيه سعيد بن أبي المرزبان وهو ضعيف ومدلس وعنعنه».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أن على أي رقبة مؤمنة وعندي رقبة سوداء أعجمية قال: ائت بها، قال: «أتشهدين أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟»

قالت: نعم، قال: «فأعتقها».

قلت: أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٨٥)، والبزار (١/١٤ ـ الكشف) من طريق ابن أبي ليلى بن المنهال به عمرو عن سعيد بن جبير عنه به.

وهذا إسناد ضعيف لأن فيه ابن أبي ليلى وهو محمد بن عبد الرحمن سيِّء الحفظ جداً، وانظر «مجمع الزوائد» (٤/٢٤٤). ومن تأمل حديثي ابن عباس يجزم بأنهما لا يشهدان لبعضهما بعضاً لأنهما حادثتان مختلفتان.

٥ ـ جاء حاطب إلى رسول الله ﷺ بجارية فقال: يا رسول إن عليَّ رقبة فهل تجزىء هذه عني؟ فقال لها رسول الله ﷺ: مَن أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «فأين ربك؟» فأشارت إلى السماء قال: «اعتقها فإنها مؤمنة».

قلت: عزاه الذهبي في «العلو» (ص ١٨ - ١٩) وابن حجر في «التخليص الحبير» (٣/٢٢٣) إلى القاضي أبي أحمد العسال في «كتاب المعرفة» من طريق أسامة بن زيد الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب.

وأسامة بن زيد الليثي فيه ضعف يسير من قبل حفظه، وقد استشهد به مسلم لذلك المتقرر أنه حسن الحديث إن شاء الله، فالإسناد حسن إن كان من دون أسامة الليثي محتج بهم.

٦ ـ حديث عكاشة الغنوي:

أنه كانت له جارية في غنم ترعاها ففقد منها شاة، فضرب الجارية على وجهها، ثم أخبر النبي ﷺ بفعله، وقال: لو أعلم أنها

مؤمنة لأعتقتها، فدعاها النبي ﷺ فقال: «أتعرفيني؟» قالت: أنت رسول الله ﷺ. قال: «فأين الله» قالت: في السماء. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

قلت: عزاه ابن الأثير في أسد الغابة» (٣/٥٦٤) وابن حجر في «الإصابة» (٢/٤٩٥) والذهبي في «العلو» (ص ٨) وابن شاهين في «الصحابة»..

حدثنا علي بن أحمد العسكري حدثني محمد بن الحارث عن عبد الحميد حدثنا زهير بن عباد حدثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم عنه به وفي إسناده من لم أقف على ترجمته.

٧ ـ عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال:

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ومعها جارية لها سوداء فقالت: يا رسول الله أتجزىء عني هذه إن أعتقها فقال لها رسول الله ﷺ: وأين الله؟» قالت: في السماء. قال «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال «تشهدين أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قالت: نعم. قال: «فاعتقيها فإنها تجزىء».

قلت: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩/٣٤٣) وقال: «وهو غريب من حديث أبي عون عن أبي جحيفة عن أبيه تفرد به أبو معدان، وهو غريب من حديث أبي معدان عبدالله بن معدان تفرد به الحسين بن الحكم عنه ولا أعلم حدث به غير ضرر بن حماد».

وفي إسناده ضعف. وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٢٤٤) إلى الطبراني وقال: فيه سعيد بن عنبسة وهو ضعيف».

٨ ـ عن عون بن عبد الله بن عتبة عن أبيه عن جده قال:

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ بأمة سوداء فقالت : يا رسول الله إن عليَّ رقبة مؤمنة أفتجزىء عني هذه؟ فقال رسول الله ﷺ: «من ربك؟» قالت: الله ربي. قال: «فما دينك؟» قال: الإسلام. قال: «فمن أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال «فتصلين الخمس وتقرين بما جئت به من عند الله؟» قالت: نعم ، فضرب ﷺ على ظهرها وقال: «اعتقيها» .

قلت: أخرجه البيهقي (٧/٣٨٨) وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٢٤٥) إلى الطبراني وقال: «وفيه من لم أعرفهم».

أخي القارىء المنصف هذه ألفاظ الأحاديث وطرقها بين يديك، وأسانيدها أصبحت بحمد الله ـ ظاهرة لا تخفى عليك، فهل تجد فيها حجة للكوثري والغماري وأمثالهما للطعن في حديث الجارية ووصفه بالإضطراب وإليك خلاصة البحث:

١ ـ إن جميع الطرق التي ليس فيها «أين الله؟» أو «أين ربك؟» ضعيفة لا يحتج بها، فلا يصح أن تعارض حديث الجارية الصحيح المصرح باللفظ المذكور، فثبت والحمد لله أن «أين الله» لفظ الرسول وقد صح فلم يبق مجملاً.

٢ ـ لو صحت هذه الطرق فإنها لا تدور على حادثة معينة بل على حوادث كثيرة.

أ ـ حادثة الرجل الأنصاري الذي جاء إلى الرسول ﷺ وأخبره أنه عليه رقبة واستفتاه في أمر الجارية العجماء.

ب ـ حادثة المرأة التي جاءت تستفتي الرسول بشأن جاريتها لتعتقها

لأن عليها رقبة.

وهذه الوقائع غير حديث معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه الذي أعتق الجارية بسبب لطمه إياها فعظّم ذلك على الرسول ﷺ فهو لم يُرِدْ عتق الجارية ابتداءً.

لذلك لا تعد هذه الألفاظ اختلافات في حديث الجارية الصحيح، فثبت ـ بحمد الله وتوفيقه ـ أن قول الكوثري والغماري من سرى في ليلهما البهيم تخمين فهو بالرد قمين.

نعوذ بالله من هوى يصد عن طريق الهدى، ومن إجحاف يسد باب الإنصاف.

(تنبيه):

نقل شيخ الإسلام في كتاب «الإيمان» (ص ٢٤٣) عن الإمام أحمد قوله:

«... ليس كل واحد يقول: إنها مؤمنة يقولون: اعتقها، قال: ومالك سمعه من هذا الشيخ هلال بن علي لا يقول: «فإنها مؤمنة» وقد قال بعضهم بأنها مؤمنة، فهي حين تقر بذاك فحكمها حكم المؤمنة، هذا معناه».

وهذا يشعر بشذوذ وضعف قول الرسول: «فإنها مؤمنة» والجواب من وجوه.

١ ـ رواه يحيى بن أبي كثير عن شيخ مالك بزيادة «فإنها مؤمنة» أخرجها مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم ويحيى بن أبي كثير ثقة حجة فزيادته مقبولة لأنها زيادة ثقة.

٢ ـ وهذه كبوة من الإمام أحمد رحمه الله فإن هذه الزيادة أخرجها أحمد نفسه في «مسنده» (٥/٤٤٨ - ٤٤٩) من طريق يحيى بن أبي كثير وصرح عنده بالتحديث.

٣ ـ جاءت هذه الزيادة من طرق أخرى عن بعض الصحابة وقد سقنا أحاديثهم فهي زيادة صحيحة مقطوع بها.

٤ ـ وإن كان مالك جبلاً في الحفظ فله أوهام في حديث الجارية نبّهنا عليها في التعليق رقم (٨).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حديث الجارية
دراية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إعلم يا متبعاً هدى محمد ﷺ أن خبر الجارية فيه مسألتان تتضمنان سؤال وجوابه ونتيجته السؤال: أين الله؟

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في كتابه « العلو » (ص ٨١ - مختصر): «وهكذا رأينا كل من يسأل: أين الله؟ يبادر بفطرته ويقول: في السماء.ففي الخبر مسألتان:

إحداهما: شرعية قول المسلم: أين الله؟

وثانيهما: قول المسؤول: في السماء.

فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى» أ هـ.

وقال الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في «رده على المريسي» (ص ٩٥):

« ثم صرحت أيضاً بمذهب كبير فاحش من قول الجهمية، فقلت: إذا قالوا لنا أين الله؟ فإنا لا نقول بالأينية بحلول المكان، إذا قيل: أين هو؟ قيل على العرش وفي السماء.

فيقال لك: أيها المعارض ما أبقيت غاية في نفي استواء الله على العرش واستوائه إلى السماء إذ قلت: لا نقول: إنه على العرش وفي السماء بالأينية ومن لم يعرف إلهه فوق عرشه، فوق سماواته فإنما يعبد غير الله، ويقصد بعبادته إلى إلهه في الأرض، ومن قصد بعبادته إلى إلهه في الأرض كان كعابد وثن، لأن الرحمن على العرش، والأوثان في الأرض. وإن أبيت أيها المعارض أن تؤين الله وتقربه أنه

فوق عرشه، دون ما سواه فلا ضير على من أيّنه ، إذ رسول الله ﷺ قد أيَّنه، فقال للأمة السوداء «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «اعتقها فإنها مؤمنة»، وكذلك أيَّنه رسول الله ﷺ وخليله إبراهيم عليه السلام أنه في السماء.

حدثناه أبو [هشام] الرفاعي حدثنا إسحاق بن [سليمان] عن أبي جعفر الرازي عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما ألقي إبراهيم في النار قال اللهم إزاء في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك»[٢٦]... فما نصنع بقولك أيها المعارض، وقول إمامك الريسي مع قول محمد رسول الله وإبراهيم خليل الله ﷺ وسلَّم إلاّ أن ينبذ في الحش؟».

وقال أيضاً في «الرد على الجهمية» (ص ٢٢): «وفي قول الرسول ﷺ: «أين الله؟» تكذيب لقول من يقول: هو في كل مكان لا يوصف بـ «أين» لأن شيئاً لا يخلو منه مكان يستحيل أن يقال: أين هو؟ ولا يقال: أين إلاّ لمن هو في مكان لا يخلو منه مكان».

قلت: وممن لم يجز وصف الله تبارك وتعالى بـ «أين» السيوطي رحمه الله في رسالته «القول الأشبه» الواردة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٢٤٠) فقال: «لما كان الروح في الجسد لا يعلم له أينية علمنا أنه منزه عن الكيفية والأينية فلا يوصْف بأين ولا كيف بل الروح موجودة

(٢٦) أخرجه أيضاً الدرامي في الرد على الجهمية» (ص ٢٥). وأبو نعيم في «حليته» (١/ ١٩)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (١٠/ ٣٤٦) بهذا الإسناد. قلت: وهو إسناد ضعيف لأن أبا جعفر الرازي سيِّىء الحفظ وكذلك أبو هشام الرفاعي ليس بالقوي ، والحديث ضعفه شيخنا الألباني في « ضعيف الجامع الصغير » (٤٧٧٠) .

[تنبيه] وقع عند الدارمي أبو هاشم بدلاً من أبي هشام، وإسحاق بن سليم بدلاً من إسحاق بن سليمان وهو تطبيع وقد صححته من المصادر المذكورة .

في كل جسد ما خلا منها شيء من الجسد وكذلك الحق سبحانه وتعالى موجود في كل مكان ما خلا منه مكان وتنزه عن الزمان والمكان».

وأنشد (٢/٢٤١) قائلاً:

هو لا كيف ولا أين له وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له وهو في كل النواحي لا يزول

وهذه مغالطة مكشوفة جوابها في وجوه:

أ - حديث: «من عرف نفسه عرف ربه» الذي أفرغ السيوطي جهده في تأويله لا أصل له كما نص على ذلك المحققون من أهل العلم بالحديث.

١ - قال السخاوي رحمه الله في المقاصد الحسنة (٤١٩): «قال أبو المظفر بن السمعاني... إنه لا يعرف مرفوعاً وكذا قال النووي: إنه ليسس بثابت». وأقرّه ابن الدَّيبع في «تمييز الطيب من الخبيث» (١٤٢٠) والشيخ الحوت في «أسنى المطالب» (١٤٣٦). قلت: قال النووي في «فتاويه» (ص ١٧٨): ليس هو بثابت». ونقل السمهودي في «الغماز على اللماز» كلام النووي هذا وأقره (ص ١٢٣).

٢ - نقل الشيخ القاري في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ص ١٨٩) والعجلوني في «كشف الخفاء» (٢/٣٤٣) عن ابن تيمية أنه قال: موضوع. قلت: قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٦/٣٤٩): «... وبعض الناس يروي هذا عن النبي ﷺ وليس هذا من كلام النبي ﷺ ولا هو في شيء من

كتب الحديث ولا يعرف له إسناد». فثبت ـ والحمد لله ـ أن شيخ الإسلام نص على أنه لا أصل له.

٣ - ذكره الصغاني في «الموضوعات» (٢٨): «وقولهم: من عرف نفسه عرف ربه».

٤ - وذكره ابن عراق ضمن الأحاديث الموضوعة في كتابه: «تنزيه الشريعة» (٢/٤٠٢).

٥ - سئل الحافظ بن حجر في فتاويه (ص ٢٨٩) عنه فقال: لا أصل له.

ب - وقد وافق السيوطي ما ثبت عن أهل الحديث فنص في رسالته «القول الأشبه» (٢/٢٣٨ - ٢٣٩) قائلاً: «الحديث ليس بصحيح وقد سئل النووي في فتاويه فقال: إنه ليس بثابت، وقال ابن تيمية: موضوع، وقال الزركشي في الأحاديث المشتهرة: ذكره ابن السمعاني أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي».

ونقل في «ذيل الموضوعات» (ص ٢٠٣) كلام النووي وأقره.

ت - فإذا كان هذا الحديث بهذه المنزلة باعتراف السيوطي نفسه فلا يصلح لشيء ولو كان معناه صحيحاً.

ث - معلوم في علم الأصول أن التأويل فرع القبول فكيف مستقيم صنيع السيوطي مع تضعيفه للحديث؟!

ج - هذا الحديث من كلام رجل روي عنه ففي العلو فقد أخرج أو نعيم في «حليته» (١٠/٦٠) أخبرنا عبد الواحد بن بكر حدثني أحمد بن محمد بن علي البردعي ثنا طاهر بن اسماعيل الرازي

قيل ليحيى بن معاذ أخبرني عن الله ما هو؟ قال: إلـه واحد. قـال: كيف هو؟ قال: ملك قادر. قال: أين هـو؟ قال: بـالمرصـاد. قال: ليس عن هـذا أسألـك. قال يحيى. فـذا صفة المخلوق فـأمـا صفـة الخالق فقد أخبرتك.

قلت:

١ - إسناد هذا الأثر فيه مجاهيل فلا يصح.

٢ ـ ولو صح هذا الإثر فإن يحيى ظن أن السؤال بأين صفة للمخلوق والخالق منزه عن ذلك ففرّ من التشبيه ووقع في التعطيل لكنـه في حقيقة الأمر شبه ثم عطل.

وهذا ما وقع للسيوطي حـذو القذة بـالقذة فقـال (٢/ ٢٤٠): «فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الـربوبيـة بكيف وأين وهو مقـدس عند الكيف والأين».

هـ - وصف الله بالأينية أمر ثابت في السنة ونطق به المصطفى الذي لا ينطق عن الهـوى إن هو إلاّ وحي يوصي فمن ردّه فقد أنكـر على رسول الله ﷺ.

خـ ـ السؤال بـأين أمر تـداولـه الصحـابـة ـ رضي الله عنهم ـ فقد مر بن عمر براع فقال: هل من جزرة؟ فقال: ليس ها هنا ربها، قال بن عمر: نقول له: أكلها الذئب. قال: فرفـع رأسه إلى السـماء وقال: أين الله؟ فقال ابن عمر: أنا والله أحق أن أقـول: أين الله؟ واشـترى الـراعي والغنم، فـاعتقـه، وأعـطاه الغنم[٢٧] الجـواب في السماء.

---

(٢٧) أخرجه الذهبي في «العلو للعلي الغفار» (ص ٩١) بإسناد حسن

هذا كتاب الله عز وجل من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى في السماء فوق العرش بائن من خلقه، وهاك من الأدلة ما هو نص في المسألة :

١ ـ كتاب الله عز وجل :

أ - قال تعالى: ﴿**أأمنتم من في السماء أنْ يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعملون كيف نذير**﴾ [الملك: ١٦ - ١٧].

ومعنى قوله: (في السماء) أي فوق السماء على العرش لأن العرب تضع «في» بموضع «على» كما في قوله تعالى : ﴿**فسيحوا في الأرض**﴾ [التوبة: ٢] وقوله: ﴿**ولأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ [طه: ٧١] ومعناه: على الأرض وعلى النخل[٢٨].

وقد قال الكوثري «مريسي العصر» في تعليقاته على «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص ٥١٨): «. . . فليكن (من في السماء) هو خاسف سدوم[٢٩] بأمر الله» وقال (ص ٥٣١): «. . . كما تعلم أن السماء مسكن الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يوجه الله من شاء منهم لإهلاك من يريد هلاكه، وبينهم

---

(٢٨) انظر «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص ٥٣١، ٥٣٤، ٥٣٧) و«العقيدة الطحاوية» (ص ٢٨٦)، «مجموع الفتاوى» (٣/٥٢ - ٥٣ و٥/١٠٦، ٦٨ - ٦٩، ٢٥٨ و١٦/١٠١، ١٠٨)، و التمهيد « لابن عبد البر » (٧/١٣٠) و«الإبانة» لأبي الحسن الأشعري (ص ١٠٦ - ١٠٧).

(٢٩) هي قرى قوم لوط عليه الصلاة والسلام.

خاسف سدوم، ولا داعي إلى صرف الآية عن ظاهرها تعالى الله أن يكون له مكان» واستنكر (ص ٤٧٩) أن تكون مصروفة عن غير خاسف سدوم بأمر الله.

قلت: يريد أن معنى (من في السماء) الملائكة الذين في السماء وهو تحريف باطل من وجوه.

١ - الآية جاءت بصيغة المفرد ولم تأت بصيغة الجمع، فإن قيل: قد ثبت إطلاق الجمع على المفرد كقوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر: ٩].

قلت: هذا صحيح لكن لا يصح إطلاق المفرد على الجمع، فتدبر (!).

٢ - إن الله سبحانه وتعالى لم يطلق لفظ ﴿**أَأَمِنْتُم**﴾ في كتابه إلّا كان المقصود بذلك هو الله لا أحد غيره من مخلوقاته.

قال تعالى: ﴿**أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون**﴾ [النحل: ٤٥].

وقال جل جلاله: ﴿**أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون**﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

فهذه الآيات نص قاطع على أن المقصود بالتخويف هو الله لا غيره.

٣ - وقوله تعالى في سورة الملك ﴿**أأمنتم في السماء أن يخسف بكم**

الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾ يفسره قوله تعالى في سورة الإسراء ٦٧ - ٦٩ **﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلاّ إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً. أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾**

ولذلك قرن بينهما ابن قتيبة رحمه الله في كتابه المستطاب: «تأويل مشكل القرآن» (ص ٥٤٦) ثم قال: «هكذا قال المفسرون وهي كذلك عند أهل اللغة في المعنى وإن كانوا يفرقون بينهما في الأماكن» أ هـ.

وجمع بينهما الحافظ بن كثيّر في «تفسير القرآن العظيم» (٤/٤٢٥) فقال: **﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾** أي ريحاً فيها حصباء تدمغكم كما قال تعالى: **﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً﴾** وهكذا توعدهم بقوله: **﴿فستعلمون كيف نذير﴾** أي كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلف عنه وكذب به.

وهذا الجمع يبطل تأويل من زعم أن معنى «من في السماء» الملائكة ومنهم خاسف سدوم.

معنى زعم أن هذه الآيات تعني الملائكة فكأنما جعل قوله تعالى: **﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلاّ إياه﴾** عائد إلى الملائكة أيضاً وهذا موقع في الشرك لا ريب جزاء وفاقاً لمن أعرض

عن فهم كتاب الله بفهم الصحابة رضوان الله عليهم.

٤ - إن قوله تعالى: ﴿**أن يرسل عليكم حاصباً**﴾ دليل على أن الله هو الذي يرسل الحاصب فلا يصح أن تكون الملائكة هي المُرسِلة لأنها مُرْسَلة، ومن استقرأ كلمة أرسل ومشتقاتها في كتاب الله وجدها تذكر أن الله هو الذي يرسل الريح والحاصب والطوفان والرجز من السماء. . . ألخ.

ولن يجد آية واحدة في كتاب الله يذكر الله فيها أن الملائكة يرسلون العذاب إلى الناس.

٥ ـ إن آيات الترهيب من عذاب الله المبتوتة في كتاب الله لا تدعو الناس إلى الخوف من غير الله بل تحذرهم أن يفعلوا ذلك سواء أكان ملك مقرب أو نبي مرسل قال تعالى: ﴿**فلا تخشوهم وأخشوني**﴾ [البقرة: ١٥٠] ولذلك مدح المؤمنين فقال: ﴿**ولا يخشون أحداً إلاّ الله**﴾ [الأحزاب: ٣٩]

فكيف يستقيم ذلك مع قول الزاعمين أن معنى «من في السماء» الملائكة ويعني بذلك أن الله يخوف عباده من ملائكته؟!

إن المخالفة والتناقض ليس في كتاب الله الذي يفسر بعضه بعضاً ـ وإنما ممن يفرون من الحق فيقعون في الضلال: ﴿**فماذا بعد الحق إلاّ الضلال فأني تصرفون**﴾ [يونس: ٣٢].

٦ ـ وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أن الذي في السماء هو الله وحده لا شريك له قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الله أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٣٠).

(٣٠) سيأتي تخريجه برقم (٤٢).

٧ ـ وثبت عن حبر الأمة وترجمان القرآن أن الذي في السماء هو الله جل جلاله فقال: «أمنتم عذاب مَن في السماء وهو الله عز وجل»[٣١]

وأعلم أن عقيدة ابن عباس رضي الله عنهما الإيمان بأن الله في السماء فقد ذكر البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١٩) عنه: «لما كلم الله موسى كان النداء في السماء وكان الله في السماء».

٨ ـ وهو اختيار شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري في «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢٩/٦) «أم أمنتم من في السماء وهو الله أن يرسل عليكم حاصبا»

٩ ـ وبه قال المفسرون كما في «معالم التنزيل» للبغوي (٤/٣٧١)، والدر المنثور» للسيوطي (٨/٢٣٨).

ب ـ وأخبر الباري جل في علاه أنه مستو على عرشه في سبع مواطن في كتابه المجيد.

قال تعالى: ﴿**إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾ [الأعراف: ٥٤]

وقال جل جلاله: ﴿**إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾ [يونس: ٣]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش**﴾ [الرعد: ٣]

وقال جل شأنه: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥].

---

(٣١) انظر «زاد المسير» لابن الجوزي (٨/٣٢٢).

وقال عز ثناؤه: ﴿**الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾ [الفرقان: ٥٩]

وقال أيضاً: ﴿**الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾ [السجدة: ٤]

وقال أيضاً: ﴿**هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾ [الحديد: ٤]

ومعنى قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي ثم علا عليه وارتفع وهو منقول عن حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضى الله عنه وعن مجاهد وأبي العالية كما في صحيح البخاري (١٣/٤٠٣ ـ الفتح) وعن شيخ المفسرين ابن جرير الطبري كما في تفسيره جامع البيان «(١/١٥٠ و١٣/٦٢) فافهمه وعض عليه بنا جذيك.

وقد قالت المعتزلة ومن حذا حذوهم الاستواء بالاستيلاء أي استولى على العرش فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم.

وقولهم هذا معلوم الفساد بالاضطرار من وجوه متعددة:

١ ـ ليس في كلام العرب ألبتة استوى بمعنى استولى ولا نقله أحد من ائمة اللغة الذين يحتج بهم ويعول على قولهم بل المنقول عنهم بالإسناد الصحيح الصريح أنهم أنكروا ذلك غاية الأنكار.

قال ابن الأعرابي وهو إمام في اللغة ـ رحمه الله: «أرادني ابن

أبي داؤد[٣٢] أن أطلب لـه في بعض لغات العـرب ومعانيهـا (الرحمن عـلى العرش استـوى) [طه: ٥] استـوى بمعنى استـولى. فقلت: لـه والله مـا يكون هذا ولا وجدته»[٣٣].

وقـد سئل الخليـل بن أحمـد رحمـه الله هـل وجـدت في اللغـة استوى بمعنى استولى.

فقال: هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها[٣٤].

لـذلك قـال ابن الجـوزي في «زاد المسير» (٣/٢١٣): «وهـذا منكر عند اللغـويين». وقـال ابن عبد الـبر في «التمهيد» (٧/١٣١): «وقـولهم في تأويـل استوى استـولى فلا معنى لـه لأنه غـير ظـاهـر في اللغة».

٢ ـ وهذا المعنى الفاسد إنما قاله متأخروا النحـاة الذين سلكـوا سبيل المعتزلة والجهمية ومع ذلـك لم يقولـوه نقلاً وإنمـا قالـوه استنباطـاً وحملاً منهم لكلمة استوى على استولى مستدلين بقول الشاعر:

قـد استـوى بشر عـلى العـراق من غير سـيف ولا دم مـهـراق

أ ـ هذا البيت ليس من شعر العرب لأنه لم يأت نقلٌ صحيـحٌ أنه شعـر عـربي وهـو غـير معـروف في شيء من دواوين العـرب وأشعارهم التي يرجع إليها.

---

(٣٢) هو أحمد بن أبي داؤد القاضي الجهمي الذي كان سبباً في وقـوع الإمام أحمـد في البلاء والفتنة.

(٣٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/٢٨٣). واللالكائي في «شرح أصـول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٣٩٩) بإسناد صحيح.

(٣٤) مجموع الفتاوي (٥/١٤٦).

ب ـ هذا البيت لا يعرف له أصل في التاريخ ولا يعلم قائله ما يدل على أنه مصنوع للاحتجاج به.

ت ـ أن هذا البيت محرّف وإنما هو:

بشر قد استولى على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

ت ـ لو صح هذا البيت، وصح أنه غير محرف لم يكن فيه حجّة لهم بل هو حجة عليهم لأن بشراً كان أخاً للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وكان أميراً على العراق فاستوى عليها كما هو عادة الملوك أن يجلسوا فوق سرير الملك وهذا مطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة كقوله تعالى ﴿**لتستووا على ظهوره**﴾ [الزخرف: ١٣]

فهذا البيت يناسب مقام بشر ولكن لا يناسب مقام الألوهية يوضحه الآتي:

٣ ـ إن الاستيلاء الذي فسروا به الإستواء يراد به الخلق أو القهر أو الغلبة أو الملك أو القدرة عليه ولا يصح أن يكون شيء منها مراداً في قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥] للأسباب الآتية.

أ ـ أما الخلق فإنه يتضمن أن يكون قد خلقه بعد السماوات والأرض وهذا خلاف الكتاب والسنة والإجماع، لأن الله أخبر بخلق السماوات والأرض وما بينها في ستة أيام ثم استوى على العرش وأخبر أن عرشه كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض وكذلك جاء في حديث عمران بن حصين رضي الله

عنه أن النبي ﷺ قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض»[٣٥].

فإذا كان العرش قبل خلق السماوات والأرض والاستواء عليه بعد خلق السماوات والأرض، فكيف يكون استواء الله عليه خلقه له أو عمده وقصده إلى خلقه؟ ومع ذلك فإن «إستوى على» أو إستوى إلى بمعنى أنه عمد وقصد إلى فعله لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً ولا نظماً ولا شعراً.

ب ـ لا يقال استولى إلاّ لمن له مضاد والله لا مضاد له.

عن نفطويه حدثنا داود بن علي قال كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله ما معنى قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥]؟

قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال يا أبا عبدالله إنما معناه استولى.

فقال: اسكت لا يقال استولى على الشيء حتى يكون له مضاد إذا غلب أحدهما قيل استولى كما قال النابغة:

إلاّ لمثلك أو من أنت سابقه ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد[٣٦]

---

(٣٥) أخرجه البخاري (٦/٢٨٦ و١٣/٤٠٣) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/١٩٥) وعنه البيهقي (٩/٢ـ٣)، وأحمد (٤/٤٣١ ـ ٤٣٢) وابن جرير في «تفسيره» (١٢/٤) و«تاريخه» (١/١٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٧٦) وغيرهم.

(٣٦) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/٢٨٤) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/٣٩٣). والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٣) والذهبي في «العلو» (ص ١٣٣)، وعزاه ابن حجر في «الفتح» (١٣/٤٠٦) إلى الهروي =

قلت: يلزم من فسر الاستواء بالاستيلاء في هذا المقام نسبة الشريك لله في خلقه يضاده في أمره لأن الاستيلاء لغة لا يكون إلّا بعد المغالبة فإذا وقع الظفر قيل استولى على كذا.

فنسأل المأوّلة المعطلة: من هو المضاد لله حتى تمكن الله تعالى من التغلب عليه والاستيلاء على ملكه منه؟!

وهذا الإلزام لا مناص للمأوّلة منه إلّا برفض التأويل والرجوع إلى تفسير السلف.

وقد تنبه بعض المأوّلة إلى هذا المعنى فتأول الاستيلاء بأنه استيلاء مجرد عن معنى المغالبة.

وهذه الباقعة نقلها الكوثري في تعليقاته على الأسماء والصفات. (ص ٥١٣، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٣) عن ابن المعلم مقراً مستحسناً.

وهذا المعنى مخالف للغة كما سبق عن ابن الأعرابي، وكذلك هو تأويل للتأويل أليس الأولى بهذا المتأول الذي لا يدري ماذا يخرج من رأسه أن يتبع تفسير السلف فيقول: علا علواً مجرداً عن المشابهة، هذا لو كان العلو يقتضي المشابهة، فكيف وهي غير لازمة؟

فتأمل كيف يفضي علم الكلام بأربابه إلى الاضطراب والتناقض، فلا جرم أن تتفق كلمات أئمة القوم في النهاية على ذمه والتبرؤ منه.

= في كتابه «الفاروق»، وذكره ابن منظور في «لسان العرب» (١٤/٤١٤) قلت: وإسناده صحيح.

٣ ـ لا يقال استولى فلان على كذا إلّا إذا كان غير متمكن منه ، ثم تمكن منه.

أيكون خلقٌ من خلق الله أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه؟ فليقل لنا المتأول المدة التي كان العرش فيها قبل خلق السماوات والأرض ليس الله بمستول عليه .

أفلا يستحي من الله من في قلبه أدنى وقار لله وكلامه أن ينسب ذلك إليه وأنه أراد بقوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥] أي اعلموا يا عبادي إني بعد فراغي من خلق السماوات والأرض وما بينهما غلبت عرشي وقهرته واستوليت الله.

ليعلم هؤلاء القوم الذين تتجاري بهم الأجواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه أن الله لم يزل مستولياً مهيمناً على الأشياء كلها.

٤ ـ الله سبحانه وتعالى مستول على جميع المخلوقات فما معنى تخصيص العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه وكرر ذلك في مواطن كثيرة من كتابه.

فإن قيل: إنما خصص العرش لأنه أجل المخلوقات وأرفعها وأوسعها فتخصيصه بالذكر تنبيه على مادونه.

قلنا: هذا يبطله أنه لا يصح أن يقال استوى الله على ابن آدم وعلى الجبل وعلى الشمس وعلى القمر.

ولو كان ما ادعيتم صواباً لم يكن ذكر الخاص منافياً لذكر العام ألا ترى أن ربو بيته لما كانت عامة للأشياء لم يكن تخصيص العرش بذكره منها كقوله: ﴿**الله لا إله إلّا هو رب العرش العظيم**﴾

[النمل: ٢٦] مانعاً من تعميم اضافتها كقوله: ﴿قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء﴾ الأنعام: [١٦٤]. فلو كان الاستواء. بمعنى الاستيلاء لكن لم يمنع اضافته إلى العرش اضافته إلى كل ما سواه وهذا غاية الوضوح لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وبذلك يتبين للمتّبع آثار الهدى التي جاء بها رسول الله ﷺ أن معنى استوى خاص بالعرش ليس عاماً كعموم الأشياء.

٥ ـ لا يطلق الاستيلاء إلّا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر والله سبحانه لا يعجزه شي.

قلت: هذا غيض من فيض ومن رام الزيادة فليظفر بالبحث المانع النافع النفيس الذي خطه ابن القيم الجوزية ـ رحمن الله ـ بيمينه في كتابه المستطاب «مختصر الصواعقب المرسلة» (٢/١٢٦ ـ ١٥٣).

سنجد فيه إن شاء الله النقول التي لو ضرب طالب العلم أكباد الإبل إليها شهراً كاملاً لكان جديراً بها، فإنها لباب الحق، ومحض النصح.

تنبيه

لقد نثرت كنانة مؤولي الإستواء بالإستيلاء قديماً وحديثاً فلم أجد شبهة أطغى مما ادعاه ابن خليفة عليوي في كتابه الموسوم بـ «هذه عقيدة السلف والخلف في ذات الله وصفاته وأفعاله...» (ص ٧٨ - ٧٩) حيث قال:

«سنجعل قدوتنا بالتأويل رسول الله ﷺ، وصحابته الكرام،

والتابعين، ومن سار على هديهم من أئمة الإسلام الأعلام إلى يوم الدين.

ويقال هنا: هل الرسول ﷺ أوَّل الإستواء على العرش أم لا؟ وإذا كان عليه الصلاة والسلام قد أوَّل أعسر كلمة يمكن أن يُستعصى فهمها على الأمة، فيكون عليه الصلاة والسلام قد أشار إلى أمته باقتفاء أثره بتأويل كل ما يوهم ظاهره التجسيم.

والسؤال هنا: هل يوجد دليل على ما قلته؟ نعم ها هو الدليل [جاء في كتاب العلو للعلي للذهبي] حديث سمعناه من أحمد بن هبة الله وجماعة عن محمد بن عبد الواحد ثنا اسماعيل بن علي أنا محمد بن علي النحوي أنا أبو بكر المقري ثنا عبدان بن أحمد ثنا عمرو بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟ قال: «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق العرش ثم استولى عليه».

ويستمر قائلاً: «فأنت ترى أن النبي ﷺ قد أول قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ بقوله: «ثم استولى عليه».

وبذا يكون المؤولون قد اقتفوا أثر الرسول عليه الصلاة والسلام بصرف كل لفظ عن ظاهره يفهم منه التجسيم إلى لفظ آخر ينفي ذلك وسواء أكان الحديث صحيحاً أم ضعيفاً فلا أقل من أن يحمل على التفسير وحينئذٍ لا يخرج عن التأويل» أهـ. بحروفه.

قلت: في هذه الشبهة الجديدة تتأبط الكذب الصراح على رسول الله ﷺ، وها نحن نمتشق حسام العلم لتنفي عن كلام النبوة

تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

أ ـ أن هذا التحريف وقع في النسخ المطبوعة من كتاب «العلو للعلي الغفار التي وقفت عليها.

ب ـ حديث أبي رزين مشهور في كتب المسانيد والسنن فلا بد من الرجوع إلى مظانه لتحقيق القول فيه.

فأقول: أخرجه الترمذي (٥/٢٨٨)، وابن ماجه (١/٦٤ - ٦٥) وأحمد (٤/١١، ١٢) والطيالسي (٢/٧٩ ـ منحة المعبود)، والبيهقي في الأسماء والصفات» (ص ٤٧٨ - ٤٧٩) وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٣٧) وابن جرير في «تفسيره» (١٢/٤) وابن أبي شيبة في «العرش» (ص ٥٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦١٢) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدسي[٣٧] عن أبي رزين العقيلي قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال: «كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء».

وهذا إسناد ضعيف لأن وكيع بن حدس مجهول لم يروي عنه إلا واصل بن عطاء كما قال البيهقي (ص ٤٧٩) وقال الذهبي في «الميزان» (٤/٣٣٥): لا يعرف تفرد عنه يعلى بن عطاء.

والحديث ضعفه بن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٥٠) والكوثري في تعليقاته على «الأسماء والصفات» (ص ٤٧٩ و٥١٤)، والغماري في تعليقاته على «التمهيد» (٧/١٣٧ و١٣٨).

---

(٣٧)]يقال «عدس»بضم العين المهملة والصواب بالحاء المهملة (حدس) كما قال الإمام أحمد في «المسند»(٤/١١)، وابن حبان في «الثقات».

لـذلك فقـول الإمام ابن القيم الجـوزية في «إعـلام المـوقعـين» (٤/٢٦٧): وصح عنه أنه سئل أين كان ربنا. . .» ليس بصحيح.

وكذلك قـول مؤرخ الإسلام في «العلو» (ص ١٩): «وإسنـاده حسن» ليس بحسن.

قلت: هـذه مـوارد الحـديث التي عـزا إليهـا الـذهبي ذكـرت الحديث دون الزيادة مما يدل أن هذه الـزيادة تحـريف دون شك يـدل على هذا الوجه الآتي:

ت ـ ولقـد وقفت على هـذه الزيـادة بلفظ: «ثم استـوى عليـه تبـارك وتعالى» وهـو اللفظ المـوافق لنص القـرآن في الإستـواء». من الطريق الآنف.

وهـذه الـزيـادة أخـرجهـا البيهقي (ص ٥١٤) في «الأسماء والصفات» من الطريق الآنف. فثبت والحمدلله أن هذه الشبهة كذب صراح على رسول الله ﷺ وأن المأوّلين المعطلين عن الصراط ناكبون.

ولقد ركب ابن خليفة عليوي الصعب والذلول ليثبت أن منهج الرسول ﷺ والصحـابة والتـابعين وعلماء المسلمـين التأويـل فارتكب موبقات علمية وملأ كتابه بالتحريف والكذب على خير القرون.

وإثبـات ذلـك يحتـاج إلى أضعـاف هـذا المقـام ولكن المثـال المضروب يكفي المنصف ويوقظ الوسنان.

ت ـ قال تعالى: ﴿**وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعـل لي صرحاً لعـلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين**﴾ [القصص: ٣٨]

وقال أيضاً: ﴿**وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فاطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً**﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

لقد طلب فرعون أن يرقى أسباب السماء بصرح ليطلع إلى إله موسي فلولا أن موسى عليه السلام أخبره أن الله في السماء فوق العالم لما فعل ذلك استدراجاً وتلبيساً على قوم استخفهم فأطاعوه.

وإلى هذا المعنى ذهب أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين نطق بهم الكتاب وبه نطقوا، وبهم قامت السنة وبها قاموا، وهاك أقوالهم(٣٨):

١ ـ قال عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في «الرد على الجهمية» (ص٢١): «لقد علم فرعون في كفره وعتوه على الله أن الله عز وجل فوق السماء فقال: ﴿**يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فاطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً**﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧).

ففي هذه الآية بيان بيِّنٌ ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الإطلاع عليه» أ هـ.

٢ ـ قال ابن خزيمة رحمه الله في «التوحيد» (ص ١١٥): «فاسمعوا يا ذوي الحجا دليلاً آخر من كتاب الله أن الله جل وعلا في السماء مع الدليل على أن فرعون مع كفره وطغيانه قد أعلمه موسى

(٣٨) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوي» (١٣/١٧٤): «وهذه الحجة مما اعتمد عليها غير واحد من النظار. . . .»

عليه السلام بذلك وكأنه قد علم أن خالق البشر في السماء ألا تسمع قوله الله يحكي عن فرعون قوله: ﴿**يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فاطلع إلى إله موسى**﴾ [غافر ٣٦ - ٣٧]. ففرعون عليه لعنة الله يأمر ببناء الصرح فحسب أنه يطلع إلى إله موسى، وفي قوله: ﴿**وإني لأظنه من الكاذبين**﴾ [القصص: ٣٨] دلالة على أن موسى قد كان أعلمه أن ربه جل وعلا أعلا وفوق».

قال الشيخ محمد خليل هراس معلقاً: «فكأن فرعون سأل موسى أين إلهك الذي تدعو إليه فقال في السماء فحينئذٍ أمر ببناء الصرح وكذب موسى فيما أخبره أن ربه في السماء».

٣ ـ قال الجويني رحمه الله في رسالة «إثبات الإستواء والفوقية» (١/١٧٧ ـ الرسائل المنيرية) بعد أن ذكر الآية: «وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ولهذا قال وإني لأظنه كاذباً».

٤ ـ قال ابن عبد البر رحمه الله في «التمهيد» (٧/١٣٣): «أما سمعوا الله عز وجل يقول: ﴿**وقال فرعون يا هامان...**﴾ الآية فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذباً.

٥ ـ قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في «الإبانة» (ص ١٠٦): «وقال الله تعالى حاكياً عن فرعون ﴿**يا هامان ابن لي صرحاً..**﴾ **الآية كذب موسى عليه السلام في قوله إن الله سبحانه فوق السماوات**».

٦ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوي» (٥/١٧٣): «... فلو لم يكن موسى أخبره أن إلهه فوق لم يقصد

ذلك ؛ فإنه هو لم يكن مقراً به» .

٧ ـ قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله في «جامع البيان» (٢٠/٤٩ و ٢٤/٢٢)

« . . . يقول: وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعي : أن له في السماء رباً أرسله إلينا» .

٨ ـ وحكى ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير» (٦/٢٢٣) قول ابن جرير وسكت عليه . .

قلت وبذلك تعلم أن هاتين الآيتين نص ظاهر في مسألة العلو ووجه الإستدلال كالآتي :

أ ـ أن الله أخبر عن فرعون ـ لعنة الله ـ أنه أنكر الرب بسؤال استنكار ﴿ **وما رب العالمين** ﴾ [الشعراء : ٢٣] ، وأكد هذا الإنكار على رؤوس الأشهاد: ﴿**فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى**﴾ [النازعات: ٢٣ ـ ٢٤] .

ونفى الآلهة إلا نفسه: ﴿**وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري**﴾ [القصص: ٣٨] وقال لموسى: ﴿**لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين**﴾ [الشعراء: ٢٩].

ب ـ لقد أخبر موسى فرعون أن له معبوداً يعبده في السماء وأنه هو الذي أرسله إليهم فعندئذ كذّب موسى عليه السلام وأمر وزيره هامان ببناء الصرح لعله يطلع إلى إله موسى فإذا لم يخبره موسى به لم يكن إثبات العلو لا منه ولا من موسى فلا يقصد الإطلاع ولا يحصل ما رامه من التكبير.

ت ـ ويدل على أن موسى أخبر فرعون أن الله في السماء ما قاله فرعون: ﴿**لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات**﴾

وهذا كلام تفهم منه العرب العلو كما جاءت على لسان زهير بن أبي سلمى أحد شعراء المعلقات:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

ت ـ ولو لم يخبر موسى فرعون أن الله في السماء لكان بحثه في الآبار والأنهار والأرض أهون عليه فلا يحتاج إلى تكلف الصلح.

فإن قيل: هذا إخبار عن شرع ما قبلنا وهو ليس شرع لنا.

قلت: هذه القاعدة الأصولية مفيدة في الأحكام الشرعية دون العقائد لأن العقيدة واحدة عند جميع النبيين.

وهذه القاعدة أيضاً مفيدة في الأمور التي لم ينص عليها شرعنا نفياً أو إثباتاً، ومسألة العلو نص الله جل وعلا عليها في كتابه وسنة رسوله ﷺ.

ناهيك أن محمداً ﷺ أقر موسى على هذه المسألة، وهاك ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى (٥/١٧٣ - ١٧٤):

ونبينا ﷺ لما عرج به يليلة الإسراء وجد في السماء الأولى آدم عليه السلام وفي الثانية يحيى وعيسى، ثم في الثالثة يوسف، ثم في الرابعة إدريس، ثم في الخامسة هارون ثم وجد موسى وإبراهيم ثم عرج إلى ربه ففرض عليه خمسين صلاة ثم رجع إلى موسى فقال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك[٣٩]

(٣٩) ليس هذا من باب الوصاية على الرسول ﷺ وأمته كما زعم بعض المتهوكين الذين طعنوا في أحاديث المعراج، بل من باب النصح لأن موسى عليه السلام جرب بني =

قال: «فرجعت إلى ربي فسألته التخفيف لأمتي» وذكر أنه رجع إلى موسى، ثم رجع إلى ربه مراراً، فصدق موسى في أن ربه فوق السماوات، وفرعون كذب موسى في ذلك» .

والجهنمية النفاة موافقون لآل فرعون أئمة الضلال، وأهل السنة والإثبات موافقون لآل ابراهيم أئمة الهدى، وقال تعالى: **﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عبدين﴾** [٧٢ - ٧٣].

وموسى ومحمد من آل ابراهيم، بل هم سادات آل ابراهيم صلوات الله عليهم» أهـ وقال في مجموع الفتاوي (١٣/١٧٣-١٧٤): «ومحمد ﷺ لما عرج به إلى ربه وفرض عليه الصلوات الخمس، ذكر أنه رجع إلى موسى وأن موسى قال له: ارجع إلى ربك فسله التخفيف إلى امتك، كما تواتر هذا في أحاديث المعراج (٤٠) فموسى صدق

= إسرائيل فلم تطق وقد جاء هذا الأمر صريحاً في بعض الروايات عند البخاري (١٣/٤٧٩ ـ الفتح) «فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذافضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً فارجع فليخفف عنك ربك».

فافهم هذا المقام أخا الإسلام ولا يغرنك تشدق المتهوكين .

(٤٠) صرح بتواتر أحاديث المعراج جمع من الحفاظ منهم:

١- العالم الرباني شيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية في «جيوشه» (ص ٤٧).

٢- السيوطي في «الأزهار المتناثرة» و «الآية الكبرى في المعراج والإسراء».

٣- الزبيدي في «لقط اللآلىء المتناثرة» (ص ٢٢٤) .

٤- الكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص ١٣٢- ١٣٣).

٥- شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص٩٠).

محمداً[٤١] في أن ربه فوق، وفرعون كذب موسى في أن ربه فوق، فالمقرون بذلك متبعون لموسى ومحمد، والمكذبون بذلك موافقون لفرعون».

٢- السنة النبوية الصحيحة

أ- قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحكمكم من في السماء»[٤٢]

---

(٤١) هكذا في الأصل والصحيح، فمحمد صدق موسى كما يقتضي السياق والله أعلم

(٤٢) هذا الحديث المشهور بين العلماء بالمسلسل بالأولية، قال شيخنا ناصر الدين الألباني في «سلسلته الصحيحة. (٩٢٠)... ورواه العراقي في «العشاريات (١/٥٩).. من هذا الوجه مسلسلاً بقول الراوي: «وهو أول ما سمعت منه، ثم قال: هذا حديث صحيح»

وقال العطار في «منتخب العوالي (ص٩): «هذا حديث عظيم حسن الإسناد والمتن»

قلت: بل هو صحيح لغيره.

أخرجه البخاري في التاريخ الكبير» (٩/٦٤)، وأبو داود (٤٩٤١) والترمذي وصححه (١٢٩٤)، وأحمد (٢/١٦٠) والحاكم (٤/١٥٩) وصححه ووافقه الذهبي، والحميدي (٥٩١)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (٣/٦٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٥٣٤)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٧٧٥) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٣)، وابن قدامة في «صفة العلو» (١٥).

كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمرو عن عبدالله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما مرفوعاً.

وهذا اسناد رجاله رجال الشيخين غير أبي قابوس، قال الحافظ في «تقريبه»: «مقبول» أي عند المتابعة، وقد توبع كما نقل شيخنا حفظه الله في سلسلته الصحيحة» (٢/٦٣١) عن ابن ناصر الدين الدمشقي: «ولأبي قابوس متابع رويناه في مسندي أحمد بن حنبل وعبد بن حميد من حديث أبي خراش حبان بن زيد الشرعبي الحمصي أحد الثقات عن عبدالله بن عمرو لمعناه»

وللحديث شاهد من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه: «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء».

ب - قال ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين مني في السماء يأتيني خبر السماء مساءاً وصباحاً»(٤٣).

ت - قال ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عيها حتى يرضى عنها» (٤٤)

واعلم ارشدك الله: أن الأحاديث المثبتة لصفة العلو بلغت حد التواتر نص على ذلك جماعة من الأئمة:

١ - قال ابن تيمية في «الحموية» (١/ ٤٣١ - الرسائل الكبرى) «... مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش استوى وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم...»

٢ - ونقل الكتاني أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في «نظم المتناثر (ص ٣١- ٣٢) وأقره.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤٩٧) ومكارم الأخلاق (٤٥) وفيه أبو اسحاق السبيعي وقد عنعنه وله شاهد آخر من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه أبو نعيم في «حليته» (٤/ ٢١٠) و «ذكر أخبار أصبهان»(١/ ٢١٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٧٧) والصغير» (١/ ١٠١)، والقضاعي في سند الشهاب»(١/ ٧٥) والبغوي في شرح السنة» (٣/ ٣٨- ٣٩) والدارمي في «الرد على الجهمية»(ص ٢٥) من طريق أبي عبيده عن أبيه.

وهذا إسنادمنقطع لأن أبا عبيده لم يسمع من أبيه.

والحديث صححه جماعة من أهل العلم كالترمذي والحاكم والذهبي والعراقي وابن ناصر الدمشقي وشيخنا ناصر الدين الألباني وغيرهم.

(٤٣) متفق عليه.

(٤٤) أخرجه مسلم.

٣ - قال الذهبي في «العلو» (ص ٣٩) بعد أن ساق حديث الأطيط وضعفه «وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعال فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب»

ونقل شيخنا ناصر الدين الألباني في «مختصر العلو» (ص ٥١) أن الذهبي صرح بتواتر أحاديث العلو في صفات رب العالمين» (١/١٧٥/٢) ووافقه.

٣- الإجماع

وقد نقل الإجماع على إثبات العلو لله وأنه في السماء فوق عرشه غير واحد من الأئمة.

١ - قال الدارمي رحمه الله في «الرد على الجهيمة» (ص ٢٠- ٢١) «... ثم إجماع من الأولين والآخرين منهم والجاهلين أن كل واحد ممن مضى وممن غير إذا استغاث بالله تعالى أودعاه أو سأله يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم من تحت الأرض ولا من أمامهم ولا من خلقهم ولا عن أيمانهم ولا عن شمائلهم إلا من فوق السماء لمعرفتهم بالله أنه فوقهم حتى اجتمعت الكلمة من المصلين في سجودهم سبحان ربي الأعلى لاترى أحداً يقول: ربي الأسفل...»

وقال في الرد على المريس العنيد«(ص٢٥): «وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء»

٢ - قال ابن عبد البر في التمهيد «(١٢٩/٧): «... وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة».

٣ - ونقل الإجماع أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوي: (١٣٨/٥): «وأما الذي يدل عليه من الإجماع ففي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماواته»

٤- الفطرة

وهذه الجارية التي قال لها النبي ﷺ «أين الله» فقالت «في السماء» فشهد لها بالإيمان وأمر بإعتاقها إنما اخبرت عن الفطرة التي فطرها الله تعالى عليها.

إن العلو أمر فطري ضروري نجده في قلوبنا نحن وجميع من يدعو الله تعالى ، فكيف ندفع هذه الضرورة الفطرية عن قلوبنا(؟)

وكل من كان بالله أعرف وله أعبد ودعاؤه له أكثر وقلبه له اذكر كان علمه الضروري بذلك أقوى وأكمل فالفطرة الوجودية مكملة بالفطرة المنزلة: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ [الروم: ٣٠] فإن الفطرة تعلم الأمر مجملاً، والشريعة تفصّله وتبينه وتشهد بما لا تستقل الفطرة به.

فليتأمل العاقل ذلك يجده هادياً له على معرفة ربه والاقرار به كما ينبغي لا ما أحدثه المتعمقون والمتشدقون ممن سول لهم الشيطان وأملى لهم.

ومن أمثلة ذلك دعواهم أن السماء قبلة الدعاء كما أن البيت

الحرام قبلة الصلاة، وسيأتي الرد عليهم مفصلاً إن شاء الله في فصل «النووي وحديث الجارية»

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوي»(٤/٤٤):

«وهذا موضع الحكاية المشهورة عن الشيخ العارف أبي جعفر الهمداني لأبي المعالي الجويني لما أخذ يقول على المنبر: كان الله ولا عرش فقال: يا أستاذ دعنا من ذكر العرش ـ يعني: لأن ذلك إنما جاء في السمع ـ أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا تلتفت يمنه ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني، ونزل[٤٥].

وقال (٤/٦١) بعد أن ساق الحكاية أيضاً:

فهذا الشيخ تكلم بلسان جميع بني آدم، فأخبر أن العرش والعلم باستواء الله عليه إنما أخذ من جهة الشرع وخبر الكتاب والسنة، بخلاف الإقرار بعلو الله على الخلق من غير تعيين عرش ولا استواء، فإن هذا أمر فطري ضروري نجده في قلوبنا نحن وجميع من يدعو الله تعالى ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟!

٥- العقل

واعلم أرشدك الله للهدى أن علو الله فوق السماوات معلوم بالعقل قال الدارمي رحمه الله في «الرد على الجهيمة» (ص ١٨):

(٤٥) هذه المناظرة في «طبقات الشافعية» (٣/٢٦٢- ٢٦٣) و«سير أعلام النبلاء» (١٨/٤٧٥و ٤٧٧).

«أرأيتم اذ اقلتم: هو في كل مكـان وفي كل خلق، أكـان إلهاً واحـداً قبـل أن يخلق الخلق والأمكنة؟ قـالوا: نعم. قلنـا فحين خلق الخلق والأمكنة أَقَدِر أن يبقى كما كان في أزليته في غير مكـان؟ فلا يصـير في شيء من الخلـق والأمكنـة التي خلقها بـزعمكم، أو يجـد بُـدّاً من أن يصير فيها، أو لم يستغن عن ذلك؟ قالوا: بلى. قلنـا: فما الـذي دعا الملك القدوس إذ هو عـلى عرشـه في عزه وبهـائه بـائن من خلقه، أن يصير في الأمكنة القذرة، وأجواف الناس، والطير، والبهائم، ويصير في كل زاوية وحجرة ومكان منه شيء ؟!

لقد شوهتم معبودكم إذ كانت هـذه صفته، والله أعـلى وأجل من أن تكون هذه صفته، فلا بد لكم من أن تأتـوا ببرهـان بين عـلى دعـواكم من كتاب نـاطق، أو سنة مـاضية، أو إجمـاع من المسلمين، ولن تأتوا بشيء منه أبداً.

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه الله في «مجموع الفتـاوي» (١٥٢/٥) قاعدة عظيمة في إثبات علوه تعالى: «وهو واجب بالعقـل الصريح، والفطرة الصحيحة وهو أن يقـال: كان الله ولا شيء معـه ثم خلق العالم.

فـلا يخلو إما أن يكـون خلقه في نفسـه وانفصـل عنـه، وهـذا محـال: تعالى الله عن ممسـة الأقذار وغـيرها، وإمـا أن يكـون خلقـه خارجاً عنـه ثم دخل فيـه، وهذا محـال أيضاً: تعـالى الله أن يحل في خلقه ـ وهاتان لا نزاع فيهـما بين أحـد من المسلمين ـ وأمـا أن يكون خلقه خارجاً عن نفسـه الكريمه ولم يحـل فيه فهـذا هو الحق الـذي لا يجـوز غيره، ولا يليق بـالله إلا هو، وهـذه القاعـدة للإمـام أحمد من

حججه على الجهمية في زمن المحنة»

قلت: ذكرها الإمام أحمد في كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص ٥٣) فاغنى عن الإعادة.

النتيجة: «اعتقها فإنها مؤمنة».

لقد جعل الرسول ﷺ أمارة إيمان الجارية معرفتها أن الله في السماء، لذلك كان الرسول ﷺ يدعو إليه الناس، ويمتحن إيمانهم بمعرفة الله عز وجل وأنه في السماء فوق عرشه بائن من خلقه.

قال الدارمي رحمة الله في «الرد على الجهمية» (ص ٢٢): «ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذ لم يعلم أن الله عز وجلّ في السماء دون الأرض فليس بمؤمن ولو كان عبداً فاعتق لم يجر في رقبة مؤمنة إذ لا يعلم أن الله في السماء.

ألا ترى أن رسول الله ﷺ جعل أمارة إيمانها معرفتها أن الله في السماء، وفي قول رسول الله ﷺ: «أين الله؟» تكذيب لقول من يقول: هو في كل مكان، لا يوصف بأين، لأن شيئاً لا يخلو منه مكان يستحيل أن يقال أين هو؟ ولا يقال: أين إلّا لمن هو في مكان يخلو منه مكان، ولو كان الأمر كما يدعي هؤلاء الزائغة لأنكر عليها الرسول ﷺ قولها وعلمها، ولكنها علمت به فصدقها رسول الله ﷺ وشهد لها بالإيمان بذلك، ولو كان في الأرض كما هو في السماء لم يتم إيمانها حتى تعرفه في الأرض كما عرفته في السماء.

فالله تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سماواته بائن من خلقه فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبد، وعلمه من فوق العرش

بأقصى خلقه وأدناهم واحد، لا يبعد عنه شيء ﴿**لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض**﴾ [سبأ: ٣] سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علواً كبيراً»أ هـ .

لم يكتف عبد الله بن الصديق الغماري بادعائه أن الرواة تلاعبوا في ألفاظ حديث الجارية بل أبعد النجعة فأتى بباقعة أدهى وأمر فقال في تعليقاته على «التمهيد» (٧/١٣٥): «. . . ويؤيد ذلك أن المعهود من حال النبي ﷺ الثابت عنه بالتواتر أنه كان يختبر إسلام الشخص لسؤاله عن الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام ودليله، أما كون الله في السماء، فكانت عقيدة العرب في الجاهلية وكانوا مشركين فكيف تكون دليلاً على الإسلام؟».

قلت: الجواب على هذا الادعاء في وجوه:

أ - لم يقدم الغماري برهاناً بيِّناً أن الرسول حصر استدلاله على إسلام الناس فيما ادعاه.

ب - التخيلات والظنون لا يحل لمسلم أن يصفع بها الألفاظ النبوية الثابتة.

ت ـ كون الله في السماء لم تكن عقيدة العرب في الجاهلية لأن مشركي الجاهلية الأولى كانوا يلحدون في أسماء الله الحسنى ويعطلون صفاته العليا قال تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذر الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ث ـ إن استدل بما روي عن رسول الله ﷺ عندما سأل حصين كم تعبد اليوم من إله؟ قال: سبعة: ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: فأيهم تعبد لرهبتك ولرغبتك؟ قال: الذي في السماء.

قال أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك. فلما أسلم حصين أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتنيهما قال ﷺ قل اللهم الهمني رشدي وعافني من شر نفسي».

فأقول: هذا الحديث أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/٣) والترمذي (٥/٥١٩) وضعفه بقوله: «هذا حديث غريب» والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٣٤) والدارمي في «الرد على المريسي العنيد» (ص ٢٤) من طريق شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران بن الحصين.

وهذا إسناد ضعيف من أجل شبيب ففي «التقريب»: «صدوق يهم في الحديث» وفيه أيضاً عنعنة الحس البصري. ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٢٠) من طريق أخرى وإسنادها ساقط. وهذا الحديث ضعفه شيخنا الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٤١٠٢) والكوثري في تعليقاته على «الأسماء والصفات» (ص ٥٣٤).

فثبت والحمد لله أن عقيدة العلو محض الإيمان وأمارة الإسلام وأن رسول الله ﷺ امتحن الجارية بذلك.

فليت شعري أهؤلاء أعلم بالله من رسوله أم ترهات الفلسفة أعشت أبصارهم وأعمت بصائرهم وجعلتهم يجترئون على الله ورسوله؟

فقل لي بربك هي يجتمع الإيمان بالله ورسوله مع الرد على الرسول وتجهيله؟ لذلك تضافرت الفتاوى عن الأئمة الأعلام أن من لم يعرف الله في السماء فوق عرشه بائن من خلقه فهو ليس بمؤمن.

١ - نقل عن أبي حنيفة النعمان رحمه الله أن من أنكر الله عز وجل في

السماء أو قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر[٤٦].

٢ - قال سعيد بن عامر الضبعي عن الجهمية: «هم شر قولاً من اليهود والنصارى قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش وقالوا هم: ليس على شيء»[٤٧].

٣ - قال عبد الرحمن بن مهدي: «إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى وأن يكون على العرش أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلّا ضربت أعناقهم»[٤٨].

النووي وحديث الجارية

قال النووي في «شرحه على صحيح مسلم» (٥/٢٤ - ٢٥).

«هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيها مذهبان تقدم ذكرهما مرات في كتاب الإيمان أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه مع اعتقاد أن الله ليس كمثله شيء وتنزيهه عن سمات المخلوقات. والثاني: تأويله بما يليق به فمن قال بهذا قال: المراد امتحانها هل هي موحدة تقر بأن الخالق المدبر الفعال هو الله وحده وهو الذي إذا دعاه الداعي استقبل السماء كما إذا صلى استقبل الكعبة وليس ذلك لأنه منحصر في السماء كما أنه ليس منحصراً في جهة الكعبة بل ذلك لأن السماء قبلة الداعين كما أن الكعبة قبلة المصلين أو هي من عبدة

---

(٤٦) انظر «مختصر العلو» (ص ١٣٦ - ١٣٧).

(٤٧) المصدر السابق ص (١٦٨).

(٤٨) المصدر السابق نفسه (ص ١٦٩).

الأوثان العابدين للأوثان التي بين أيديهم فلما قالت في السماء علم أنها موحدة وليست عابدة للأوثان. قال القاضي عياض لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾ ونحوه ليست على ظاهرها بل متأوله عند جميعها فمن قال بإثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكييف من المحدثين والفقهاء والمتكلمين تأوّل في السماء أي على السماء ومن قال من دهماء النظار والمتكلمين وأصحاب التنزيه بنفي الحد واستحالة الجهة في حقه سبحانه وتعالى وتأوّلوها تأويلات بحسب مقتضاها ـ وذكر نحو ما سبق ـ قال: وليت شعري ما الذي جمع أهل السنة والحق كلهم على وجوب الإمساك عن الفكر في ذات الله كما أمروا وسكتوا لحيرة العقل واتفقوا على تحريم التكييف والتشكيل وأن ذلك من وقوفهم وإمساكهم غير شال في الوجود والموجود وغير قادح في التوحيد بل هو حقيقة ثم تسامح بعضهم بإثبات الجهة خاشياً من مثل هذا التسامح وهل بين التكييف وإثبات الجهات فرق لكن إطلاق ما أطلقه الشرع من أنه القاهر فوق عبادة وأنه على العرش استوى مع التمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في المعقول غيره وهو قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ عصمة لمن وفقه الله وهذا كلام القاضي رحمه الله تعالى. أ هـ بحروفه.

قلت: كلام النووي رحمه الله هذا الذي تأول فيه حديث الجارية اتخذه الأشاعرة من بعده تكأه للطعن في منطوق حديث الجارية ومفهومه وكأنه لباب الحق ومحض الإيمان.

ولما كان هذا التأويل مقتداً به فلا بد من كشف خطأه وبيان

عـواره وليسهل الفهم عـلى القارئ الكـريم أقول: كـلام النـووي ذو ثلاث شعب:

أولاً: إن مـذهب السلف الإمسـاك عن الخـوض في معـاني الصفات وهو المنعوت بـ «التفويضي».

وقد توهم صحته بعض الدعاة الإسلاميين المعاصرين كـالشيخ حسن البنـا رحمه الله في «عقـائده» (من ٤١٧ - مجمـوعة رسـائله)، والشيخ محمد الغـزالي في «مشكلاتـه» التي صدرت عنـه حديثـاً (ص ١٢٩، ١٣٧)، وهـو مما يكـثر الكوثـري عـزوه إليهم كـما فعـل في تعليقاته على كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص ٥١٤): «... لأنه ينص على التفـويض وهو مـذهب السلف وقال في تعليقـاته عـلى «تبيين كذب المفـتري» لابن عساكـر (ص ٢٨) عن كتاب «الإبـانة»: «وهي على طريق المفوضة في الإمسـاك عن تعيين المـراد وهو مـذهب السلف.. وقـال في تعليقـه عـلى «السيف الصقيـل» للسبكي (ص ١٣): «الـذي كان عليـه السلف إجـراء مـا ورد في الكتـاب والسنـة المشهورة في صفات الله سبحانه على اللسان مع التنزيه بدون خـوض في المعنى ومن غير تعيين المراد».

قلت: كيف يتـوهم من في قلبه أدنى مسكـة من إيمان وحكمـه أن تكون القرون المفضلة القرن الذي بعث فيهم رسـول الله ﷺ، ثم الـذين يلونهم ثـم الذين يلونهم غـير عالمـين وقائلين في هـذا الباب بغير الحق المبين وأن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع منهم على غايـة التمـام لأن ضد ذلك إما الجهل وعدم العلم والقـول أو كتم العلم أو اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وهذه كلها ممتنعة.

أمـا الأول: فلأن من كـان في قلبه أدنى حيـاة وطلب للعلم أو

نهمه في العبادة يكون معرفة معبودة والبحث عن صفاته وأسمائه والسؤال عنها أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، وليست النفوس الصحيحة التي لم تجتالها شياطين الإنس والجن عن فطرتها إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر لأن معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أسمى عقائد الإسلام.

فإذا علمت أن هذا المقام معلوم بالفطرة الوجودية والفطرة المنزلة وهي شريعة الإسلام فكيف يتصور مع قيام هذه المقتضيات أن يتخلف عنه أولئك السادة رضوان الله عليهم في مجموع أعصارهم.

وأيم الله إن هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضاً عن الله، وأعظمهم إكباباً على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع في أولئك.

وأما كونهم كتموا العلم فذاك محال لأنهم زوامل دين رب العالمين الذين نقلوا الإسلام بقضه وقضيضه فأصبحنا نتقلب في أفواف من روح وريحان وطمأنينة وإيمان.

وأما كونهم كانوا معتقدين غير الحق أو قائليه فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم وصَحِب أنفاسهم المسطورة في دواوين الإسلام.

ومن طلب ذلك وتتبعه استبانت له الحجة ووضحت له المحجة فإن العاقل يسبر وينظر.

ومن تأمل مذهب التفويض علم فساده رأساً وأصلاً ووضعاً وحكماً للوجوه الآتية:

١ ـ مضمونه أن كتاب الله لا يهتدي به في معرفة الله جل وعلا لأنّ آيات الصفات مجرد ألفاظ لا يُعلم معناها ولا يحق تعيين المراد فهي حينئذٍ بمنزله الكلام الأعجمي وحروف المعجم، وعندئذٍ لا فرق بين الغفور الرحيم وشديد العقاب إلى غير ذلك من أسماء الله تعالى وصفاته.

إن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على فهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الأعراض عن فهمه ومعرفته؟!

٢ ـ ومضمونه أيضاً أن الرسول ﷺ معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله لأنه لا يعلم معاني ما أنزل الله بل يقول كلاماً لا يعقل معناه.

إنَّ الرسول ﷺ بلغ الرسالة ونصح الأمة فكيف يجوز أن يكون الرسول ﷺ لم يبين للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين؟!

٣ ـ ومضمونه أن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية الأولى. إن الله أمرنا بالتحاكم إلى كتابه وسنة نبيه في مواطن الخلاف فكيف يجوز الرجوع إلى كلام كله أحاجي وألغاز.

إنَّ ترك الناس على مذهب المفوضة بلا رسالة خير لهم في أصل دينهم لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالاً.

٤ ـ مضمونه أنَّه لا يوجد حق وضلال في هذا الباب فلو أنكرت على أحد لقال لك: الحق في نفسي ما علمته برأيي وعقلي وليس في النصوص ما ينافي ذلك لأن تلك النصوص مشكلة لا يعلم

أحد معناها فلا يجوز الاستدلال بها.

ولقد قلبنا مقولة المفوضة على كل الوجوه فلم نجدها إلا سداً لباب الهدى والبيان من جهة الانبياء وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول الهدى والبيان في فلسفة اليونان ووثنية الرومان.

ولقد تبين للمنصف أن قول المفوضة من شر الأقوال وأن انتسابهم للسلف إنما هو قلب للحقائق، وذر للرماد في العيون، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ورب قائل يقول إن كثير ممن ادعى ذلك ما أراد إلّا إحساناً بحسم الخلاف المتأجج بين اتباع السلف والخلف وتوفيقاً للصف الإسلامي لتعود الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس.

قلت: لن تكون الأمة خير أمة أخرجت للناس **إلا بالشروط** المذكورة في قوله تعالى ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون بين المنكر وتؤمنون بالله**﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومقالة أهل التفويض لا تفرق بين المعروف والمنكر في باب الإيمان بالله وصفاته كما بينا في الوجه الرابع فشروط الخيرية مفقوده في مذهب التفويض.

ولله در القائل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

وقال آخر:

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا يا سعد تورد الإبل

ما هو مذهب السلف؟

وإليك أيها القارىء الكريم بعض النصوص عن السلف الصالح رضوان الله عليهم وكلها متحدة المعنى تلتقي في إثبات الصفات بمعانيها المعقولة في اللغة العربية التي نزل بها القرآن مع الرد على المعطلة النافين والمجسمة المشبهين لها بصفات الحوادث.

١ ـ قال الإمام العلامة أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي: «فأما ما سألت عنه من الكلام في الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنن الصحيحة فإن مذهب السلف إثباتها واجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها إذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات يحتذي حذوه، ويتبع مثاله، فإذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك اثبات الصفات أثبات وجود لا إثبات تكيف.

وقد يعبرون عنها بقولهم: تمر كما جاءت ولا يتعرض لها بتأويل، ومرادهم: إنه يجب إثبات الصفات دون تكييف وقد يظن من ينسب لهم أنهم ارادوا التفويض أو أنها من المتشابه وهذا ظنّ خاطىء»(٤٩).

٢ ـ قال العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالله النمري في «التمهيد» (٧/١٤٥): «أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلّا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة

(٤٩) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، لعبد العزيز بن سليمان (ص ٢٣).

كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله».

٣ ـ قال الحافظ الخطيب البغدادي: «أما الكلام في الصفات؛ فإن ما روي منها في السنن الصحاح، مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه، وحققها من المثبتين قوم فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه.

والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف...»[٥٠].

٤ ـ وانبل جواب وقع في هذا الباب ما ثبت عن الإمام مالك وشيخه ربيعة الرأي: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[٥١].

وقد أجمع العلماء على استحسانه وتلقاه أهل السنة قاطبة بالعمل والقبول.

---

(٥٠) نقلاً عن «مختصر العلو» (ص ٤٨ ـ ٤٩).

(٥١) وقد أوعيت ـ بحمدالله ـ في استيفاء طرق هذه الآثار وتكلمت عليها صحة وضعفاً في كتابي «مهذب اجتماع الجيوش الإسلامية» فهناك بغية الباحث.

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله في «الاكليل» (ص٥٠)):
«وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول فليس في أهل السنة من ينكره.

وقال الذهبي رحمه الله في «العلو للعلي الغفَّار (ص ١٠٤):
«هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة».

قلت: من هذه النقول يتبين أن مذهب السلف تعيين المراد دون تكييف لأن الصفات لها حكم الذات فكما أننا نثبت وجود الله دون إدراك للكيفية، كذلك نثبت صفات الله بمعانيها المعقولة المعلومة في اللغة التي نزل القرآن بها دون إدراك لكيفيتها.

وهذا الأصل في صفات الله مفتاح الهداية والاستقامة عليها وهو عمدة المحققين.

قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٥):«وهو أن يقال: القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات.

فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة لأنه سؤال عمالا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه.

ولذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له:

كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفية، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزول إذا العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكلمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته».

ثانياً: أن السماء قبلة الداعين كما أن المسجد الحرام قبلة المصلين.

إن الناس كافة عربهم وعجمهم صغيرهم وكبيرهم عندما يلجأون إلى الله بالدعاء يتوجهون إلى السماء من غير أن يتعلمونه من أحد لأن الله سبحانه تعالى فطر الناس على ذلك.

إن الأيدي ترتفع بالدعاء إلى السماء توجهاً إلى الله فوق عرشه وليس كما زعم الزاعمون أن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة.

قال ﷺ: «إن ربكم حييٌّ كريم يستحي أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صفراً»(٥٢).

قال ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١١٠)«... وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين علمائهم وجهالهم، أحرارهم ومماليكهم، ذكرانهم، وإناثهم، بالغيهم وأطفالهم كل من دعا الله جلّ وعلا فإنما يرفع رأسه إلى السماء ويمد يديه إلى الله إلى أعلاه لا إلى أسفل»

قال ابن قتيبة رحمه الله في «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٨٣): «ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق سبحانه لعلموا أن الله تعالى هو العلي وهو الأعلى

(٥٢) صحيح الجامع الصغير (٢٠٦٦).

وهو بالمكان الرفيع وأن القلوب. عند الذكر تسموا نحوه والأيدي ترتفع بالدعاء إليه ومن العلو يرجى الفرج ويتوقع النصر وينزل الرزق».

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله ـ الذي ينتسب إليه الأشاعرة ظلماً وجهلاً، في «الإبانة» (ص ١٠٧): «ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا: دعو نحو السماء لأن الله مستوى على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض».

ومن علم الدجاجة أن ترفع رأسها إلى السماء إذا قضت وطرها من الماء؟ أم من علم الحيوانات أن ترفع رأسها إلى السماء زمان الجدب كأنها تستمطر ربها.

قال ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٢١٢): «وفي هذا الباب قصة حمر الوحش التي ذكرها غير واحد أنها انتهت إلى الماء لترده فوجدت الناس حوله، فتأخرت عنه، فلما جهدها العطش رفعت رأسها إلى السماء، وجأرت إلى الله سبحانه بصوت واحد فأرسل الله سبحانه عليها السماء بالمطر حتى شربت وانصرفت».

ذاك العظيم في علاه، من فطر الناس سواه، ولذلك من زعم أن السماء قبلة الدعاء فقد خالف أقوال الرسول ﷺ ودرج على غير فهم السلف الصالح رضي الله عنهم، وشوه فطرة الله التي فطر الناس عليها.

ووجه آخر يبطل هذا الفهم أن المسلمين ما عرفوا قبلة إلا

الكعبة المشرفة بنص الكتاب العزيز: ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**﴾ [البقرة: ١٤٤]

فلو كانت السماء قبلة الدعاء لما أمره أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام ولأقره على تقلب وجهه في السماء.

لذلك فهذه القبلة الجديدة بحاجة إلى دليل صريح من القرآن أو صحيح من السنة، وهيهات.

إن من جعل للمسلمين قبلتين فقد خالف إجماع المسلمين واخترع من تلقاء نفسه قبلة ثانية ليس لها في الإسلام عيد ولا أثر.

ثالثاً: أن السلف والخلف اتفقوا على التأويل وأن ظاهر الآيات غير مراد وسيأتي بيان بطلانه في فصل «الغزالي وحديث الجارية».

الغزالي وحديث الجارية

لا يزال بين ظهرانينا قوم رضوا بضحضاح من المعرفة فكان نصيبهم من بحر العلم نضبة ولكنهم يتجشؤون من غير شبع فيحسبهم الجاهل عمالقة لأنهم يحسنون فن العرض، ويتلاعبون بالألفاظ، ويدغدغون العواطف، ويروون مناظرات هم أبطالها وصانعوها.

ولقد أسرف الشيخ محمد الغزالي في هذا الباب منها ما سطره في «مشكلاته» (ص ١٢٦) حيث أورد قصة خطيب مسجد في حلوان دندن حول حديث الجارية الذي نزل صاعقة على رؤوس نفاة العلو للعلي العظيم فاحمرت أنوفهم غضباً لما تلقوه عن مشايخهم وانطلقت أفواههم تهذى بما يؤذي فأرسلوا أحدهم مستنصراً بالغزالي الذي غزل لهم غزلاً رقيقاً ليحظا بتصفيق حار وكأنه الفارس المغوار الذي لا يشق له غبار وها هو يصف موارده التي استقى منها فلسفته التي أولت حديث الجارية فقال (ص ١٢٨): «وعدت بذاكرتي إلى أيام الدراسة في الجامع الأزهر من خمسين سنة تقريباً كنا نحضر علم التوحيد[٥٣] ونستمع إلى الأستاذ وهو يعرض نماذج من الآيات

(٥٣) بل علم الكلام الذي اجتال المسلمين عن سيرة خير القرون، وسد الهدى من باب الأنبياء، وصَيَّر أقطابه في نهاية أمرهم أشقياء.

فإذا كان الأمر كذلك فكيف يسمونه بعلم التوحيد؟ اللهم إلا على منهج من يسمون الأشياء بغير أسمائها، ونسوا أن الأسماء لا تبدل حقائق الأشياء.

المتشابه لقد شحنت عقولنا بأشياء كثيرة عن قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ [الفتح: ١٠].

وبعد كلام طويل قال الشيخ رحمه الله: ومذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم.

قلت له: لماذا؟

قال: مذهب السلف أسلم لأنه أبعد عن الخطأ في تقرير المعنى وأرجى للثواب لأنه يبتعد عن التأويل ويقبل التفويض كما أمرنا أما مذهب الخلف فهو أقدر على دحض الشبهات ورمي الوساوس وإلزام الخصوم.

وسلمنا نحن الطلاب بما تعلمنا ومضت السنون واللجاج لا ينتهي بين الفريقين».

قلت: ما ذكره شيخ الغزالي هو عين ما حفظه من حاشية البيجوري التي اتخذها الأزهر منهاجاً لعلم التوحيد لأنها في زعمهم جوهرة التوحيد.

قال الناظم:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

قال المحشي (ص٥٥):

«وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم وهي الأرجح ولذلك قدمها المصنف[٥٤] وطريقة السلف

(٥٤) يريد أن الناظم عندما قدم التأويل على التفويض في قوله: «أوِّله أو فَوِّض» رجح رأي =

أسلم لما فيها من السلامة من تعين معنى قد يكون غير مراد له تعالى»

وتمضي السنون والشيخ الغزالي كمشايخة جامد على ما أفاده في بواكير الصبا إليه يرد عند التنازع.

ولكنه فاق مشايخه في الإغتراف من بحر الجمود والتقليد حتى اصطبغت «مشكلاته» و«همومه» بهذه الصبغة التي ليس لها وزن في ميزان البحث العلمي الذي يقوم على قوله تعالى ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ [البقرة: ١١١].

فأبصر به يقول في «مشكلاته» (ص ١٣٩): «ولما ألّفت كتابي عقيدة المسلم لم أذكر شيئاً عن المهدي المنتظر وقيل لي لمَ لم تذكره في علامات الساعة؟ قلت: من محفوظاتي وأنا طالب لم يرد في المهدي حديث صريح وما ورد صريحاً فليس بصحيح وإذا كان ما ورد لم ينهض إلى تكوين حكم ثابت، فكيف أجعله عقيدة تفصل بين الكفر والإيمان...»(٥٦).

= الخلف على السلف، وهذا ترجيح مرجوح كما بينه صاحب «الشرح الجديد لجوهرة التوحيد» (ص٦٠ - ٦١): وقد يتبادر أن المصنف قدم رأي الخلف لأرجحيته ولكن يبعد ذلك قوله فيما يأتي:

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

فمع ذلك التصريح لا يمكن أن يفهم المصنف أن طريق خلف الأمة في فهم الدين أرجح من طريق سلفها الصالح» أهـ.

(٥٦) أخطأ الشيخ عهد الغزالي في هذه الفقرة خمس مرات:

الأولى: عندما اعتمد على ما لقنه علماء الكلام الذين هم أبعد الناس عن العلم بالحديث وطرقه، وأزهد الناس في الإشتغال به وتطلبه، ومن المعلوم ضرورة أن لكل مقام مقال، ولكل علم رجال.

الثانية: عندما قلد لأن التقليد جهل وليس علم، ولله درّ ابن القيّم القائل

العلم معرفة الهدى بدليله ما ذاك والتقليد يستويان =

واسمع إليه يقول في «همومه» (ص ٤٧): «ومن المرويات التي تحدثت فيها إحدى الإذاعات أخيراً ما جاء في الأمور التي تبطل الصلاة فقد تعلمنا ونحن صغار أن الصلاة لا يقطعها شيء وأن مرور إنسان أو حيوان أمام المصلي لا يفسد صلاته».

إنني لم أَرَ أحداً احتج بحجة أوهن ولا أشد استحالة من هذه الحجة الداحضة التي لا يقرها إلا من أراد أن يهجن صحاح أحاديث رسول الله ﷺ ويرد آثاره الصادقة فحقيق أن يسف في فيه الملل.

إن هذه المقالة التي هي في غاية الضلالة أعادها الغزالي جذعة وليته فكر وقدر ونظر وسبر قبل أن يسطرها في ثنايا مشكلاته ولو فعل ـ وليته فعل ـ لوجدها تريد أن تنقض على نفسها لكنه أبي فنقض غزله من بعد قوة أنكاثا وتكسر مغزله لأنه لم يجد غزالاً.

وهاك أيها الأخ الأوفى والصديق الأصفى ـ أيدك الله بروح منه ـ وجوه بطلان هذه الباقعة:

أ ـ لقد فصل الخلف بين السلامة والعلم والحكمة وهل العلم والحكمة إلا أساساً للسلامة التي تسير في ركاب العلم وتجر أذيالها وراء الحكمة، فكيف تجيز العقول التفريق بين السبب والنتيجة إن هذا لشيء محال.

= الثالثة: عند نفي ورود أحاديث صريحة في المهدي وهي ملء دواوين السنة المطهرة.
الرابعة: عندما حكم على أحاديث المهدي بالضعف الشديد الذي لا يرقى لإثبات حكم شرعي فضلاً عن عقيدة.
الخامسة: فرق بين أدلة الأحكام الشرعية والعقائد، وقد بسطت الرد عليه في الجزء الثالث من كتابي «الأدلة والشواهد في وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد» فهناك بغية المريد وغاية المستزيد.

ب ـ كيف يكون الخالفون أعلم بالله من خير القرون وهل الخيرية إلا في العلم والحكمة.

ت - أي علم وحكمة في مذهب تبرأ منه رؤوسه وأعلن أقطابه خطأه وزيفه وأقروا على أنفسهم بالحيرة في أمرهم والندم على ما اعتقدوا في الله وصفاته لما تبين لهم.

وقد أوعب شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الحموية» (١/٤٢٨) فأشبع وأروى: «كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهايته أقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم حيث يقول:

لعمري قد طغت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلاّ واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوا متمثلين به، أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم، مثل قول بعض رؤسائهم:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[٥٧]

ويقول الآخر منهم: لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآ إن لم يتداركني

(٥٧) هذه الأبيات لابن الخطيب المعروف بالفخر الرازي وقد رواها الشاطبي في «الإفادات والإنشادات» (ص ٨٤ - ٨٥) بإسناده، وهي في «نفح الطيب» للمقري (٥/٢٣٢) و«الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب (٢/٢٢٢) بإسناد آخر.

ربي برحمته فالويل لفلان وها أناذا أموت على عقيدة أمي.[٥٨].

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام، ثم إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المتقصون المحجوبون المعضولون المسيوفون الحيارى المتهوكون. أعلم بالله وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها، لاستحيا من يطلب المقابلة، ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان. أ هـ.

وقال العالم الرباني محمد بن علي الشوكاني في «التحف في مذاهب السلف» (٢/ ٨٦ - ٨٧ - مجموعة الرسائل المنيرية): «ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلف أن تمنى محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز وقالوا هنيئاً للعامة فتدبر هذه الأعلمية التي حاصلها أن يهنىء من ظفر بها للجاهل الجهل البسيط ويتمنى أنه في عدادهم وممن يدين

(٥٨) هذه الكلمات لابن الجويني كما في «المنتظم» ٩/ ١٩ و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٧١) و«طبقات الشافعية» (٣/ ٢٦٠) و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٦١).

بدينهم ويمشي على طريقهم فإن هذا ينادي بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير فما ظنك بعلم يقرّ صاحبه على نفسه أن الجهل خير منه وينتهي عند البلوغ إلى غايته والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلاً به عاطلاً عنه: ففي هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين فهلا عملوا على جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها بادئ بدء وسلموا من تبعاتها وأراحوا أنفسهم من تعبها وقالوا كما قال القائل:

أرى الأمر إلى آخر يصير آخره أولا

وربحوا الخلوص من هذا التمني والسلامة من هذه التهنئة للعامة فإن العاقل لا يتمنى ركبه مثل رتبته أو دونها ولا يهني لمن هو دونه أو مثله ولا يكون ذلك إلّا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه فيالله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه وأفضل مقدار بالنسبة إليه وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها وإذا كان حال هذه الطائفة التي قد عرفناك أخف هذه الطوائف تكلفاً وأقلها تبعة فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها وتبين بطلان مواردها ومصادرها كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به الإسلام وأهله والسعي في التشكيك فيه بإيراد الشبه وتقرير الأمور المفضية إلى القدح في الدين وتنفير أهله عنه وعند هذا تعلم أن

خير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع أ.هـ

ث - لقد أتي الخالفون في هذا الباب لجهلهم بمنهج السلف قال السفاريني رحمه الله في «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٢٥): «فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقول بعض من لا تحقيق

لـديه ممن لا يقـدر قـدر السلف ولا عـرف الله تعالى ولا رسـوله ولا المؤمنين به حق المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقـة الخلف أعلم وأحكم وهؤلاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريق السلف في مجـرد الإيمان بـألفاظ القـرآن والحديث من غـير فقه ذلـك بمنـزلـة الأميين وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أو خيب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهور وقد كذبوا وأفكوا عـلى طريقـة السلف وضلوا في تصويب طـريقة الخلف فجمعـوا بـين البـاطلين الجهل بـطريقة السلف والكـذب عليهم والجهل والضـلال بتصويب طريقة غيرهم» أ هـ.

ولم يقف الغـزالي عند هـذا الحد بـل زاد قـائـلاً (ص ١٢٩): «وتـدبرت الأمـر بيني وبين نفسي فـرأيت أن كلاً من السلف والخلف لجأ إلى تأويـل بعض الآيات فقـوله تعـالى: ﴿هو معكم أينـما كنتم﴾ [الحديد: ٤] ليست معية ذات وإنما هي معيّة علم».

ثم ضرب بعض الأمثلة واستـدل (ص ١٣١) بتأويـل النـووي والقاضي عياض لحديث الجارية.

وهاأنا أبين فساد هذا الـوجه المشـترك بين الأشـاعـرة القـدامى والمحدثين التي اجتمعت كلمتهم على الافتراء على السلف الصالحين.

أ - إن هذا الوجـه مبني على مقـدمات كلهـا ظلمات بعضها فـوق بعض.

الأولى: إنهم حشروا آيـات الصفات في المتشـابهـات كـما زعم الغزالي في «مشكلاته» (ص ١٢٦ و١٢٨ و١٣٧).

الثانية: إنهم نسبوا السلف إلى التفويض كما فعل الغزالي في «مشكلاته» (ص ١٢٩ و١٣٠ و١٣٢ و١٣٧).

وقد برأ الله السلف الصالح مما نسب إليهم حيث بَيَّنا آنفاً فساد مذهب التفويض.

والحقيقة التي لا مراء فيها أن التفويض والتأويل من لوازم الذي هو ديدن الأشاعرة وهجيرهم كما نص على ذلك صريحاً شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة التدمرية» (ص ٣٠) فقال: «ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض ـ الذين يوجبون فيما نفوه: إما التفويض وإما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ ـ قانون مستقيم فإذا قيل لهم: لم تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد؟ لم يكن لهم جواب صحيح فهذا تناقضهم في النفي».

الثالثة: إنهم لم يجدوا السلف مفوضة ـ كما زعموا ـ بل فسر السلف معاني الصفات وعينوا المراد دون تكييف فعندما فجئت هذه الحقيقة المخلفين أعشت أبصارهم وزلزلت ما أسسوا فنطقوا بثالثة الأثافي فزعموا تدليساً وكتماً للحق أن هذا اضطرار من السلف للتأويل.

قال الغزالي (ص ١٣٧): «وما دام التأويل ضرورة في شرح بعض النصوص وما دام السلف والخلف قد اضطروا إليه جميعاً...».

قلت: شتان ما بين تفسير السلف الذي هو عين مقتضى اللفظ وتأويل الخلف المخالف لمقتضى اللفظ.

فهذه آيات المعية التي زعم الغزالي وشيعته أن السلف أولوها

فقالوا: معية علم وليس معية ذات نضر بها مثلاً.

إن هذا التفسير ليس تأويلاً بل هو صميم مقتضى لغة العرب الذين نزل بلسانهم القرآن المبين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. إن لفظ «مع» لا يقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر ومن زعم غير ذلك فقد أوجب ما لا توجبه اللغة وخالف ما فطر الله عليه الخلق، فهذا القمر موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان.

وقد يدخل علي صبي من يخفيه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخف أنا معك أو أنا هنا أو أنا حاضر ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال لدفع المكروه.

وقد يقال ما زلنا نسير والشمس معنا أو النجم معنا، ويقال هذا المتاع معي وإن كان فوق رأسك.

وذلك أن كلمة مع في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهر ما في اللغة إلاّ المقارنة من غير وجوب مما ساق أو محاذاة فإذا قيدت بمعنى من المعاني أطلقت على المقارنة في ذلك المعنى. ففرق بين معنى المعية ومقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع.

إن لفظ «مع» قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في المواطن الأخر فإما تختلف دلالتها بحسب موضعها أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصة، وعلى كلا التقديرين ليس مقتضاها الاختلاط والمماسة حتى يقال صرفت عن ظاهرها.

إن لفظ «مع» جاء في القرآن عام وخاص، أما «العام» فقوله تعالى: ﴿**يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير**﴾ [الحديد: ٤].

وقال أيضاً: ﴿**ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**﴾[المجادلة: ٧].

وأما «الخاص» ففي قوله تعالى: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾ [النحل: ١٢٨]. وقوله: ﴿**قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى**﴾ [طه: ٤٦]. وقوله: ﴿**قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون**﴾ [الشعراء: ١٥] وقوله: ﴿**إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾ [التوبة: ٤٠].

فلو كان معنى «مع» أنه بذاته في كل مكان كما زعم الخلق لتناقض الخبر الخاص والعام.

إن الخلف يعمدون إلى ضرب آيات الله ببعضها ليتسنى لهم تأويل ما قصرت عقولهم عن فهمه بدعوى التوفيق بين الآيات.

ولا يحسبن أحد أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً ألبتة فإن حكم المعية في كل بحسبه فهو مع الخلق بعلمه وقدرته وسلطانه لأنه سبحانه وتعالى افتتح آيات المعية العامة بالعلم وختمها فكان السياق والسياق يدلان على أنه أراد العلم.

فإن حكم المعية في كل بحسبه فهو مع الخلق بعلمه وقدرته

وسلطانه لأنه سبحانه وتعالى افتتح آيات المعية العامة بالعلم وختمها فكان السياق والسباق يدلان على أنه أراد العلم.

وهذا ما قرره أئمة الهدى الذين سبقونا بالعلم والإيمان .

١ - قال الصديق الثاني العالم الرباني أحمد بن حنبل الشيباني في كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص٥٢): «باب ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم**﴾ الآية. قالوا: إن الله عز وجل معنا وفينا فقلت: لم قطعتم الخبر من أوله إن الله عز وجل يقول: ﴿**ألم تر أن الله يعلم ما في السماء والأرض**﴾ فأخبر جل ثناؤه أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض ثم قال: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم يعني بعلمه رابعهم ولا خمسة إلا هو يعني الله بعلمه سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم يعني بعلمه فيهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه. . .»

٢ - قال الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ١٩): «فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة ـ استوحش من ذكرها ـ وتستر آخر من زندقة صاحبه فقال: قال الله تعالى: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**﴾ [المجادلة: ٧]

قلنا: هذه الآية لنا عليكم، لا لكم، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى، ومع كل أحد من فوق عرشه بعلمه لأن علمه بهم

محيط، وبصره فيهم نافذ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره، ولا يتوارون منه بشيء، وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه ﴿**يعلم السر وأخفى**﴾ [طه: ٧] أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد، قادر على أن يكون له ذلك، لأنه لا يبعد عنه شيء، ولا تخفي عليه خافية في السماوات والأرض، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما أوعيتم وكذلك فسرته العلماء.

فقال بعضهم: دعونا من تفسير العلماء إنما احتججنا بكتاب الله فأتوا بكتاب الله.

قلنا: نعم هذا الذي احتججتم به هو حق عما قال الله عز وجل وبها نقول على المعنى الذي ذكرنا غير أنكم جهلتم معناها فضللتم سواء السبيل، وتعلقتم بوسط الآية. وأغفلتم فاتحتها وخاتمتها لأن الله افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به... ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم، لا أنه نفسه في كل مكان معهم كما زعمتم، فهذه حجة بالغة لو عقلتم» أ هـ

٣ - وقال الآجري رحمه الله في «الشريعة» (ص٢٨٨): «فإن قال قائل: فإيش معنى قوله ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم**﴾ الآية التي بها يحتجون؟

قيل له: علمه عز وجل، والله على عرشه وعلمه محيط بهم، وبكل شيء من خلقه، كذا فسره أهل العلم، والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم.

فإن قال قائل: كيف؟

قيل: قال الله عز وجل ﴿**ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم - إلى قوله ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**﴾ [المجادلة: ٧]

فابتدأ الله عز وجل الآية بالعلم وختمها بالعلم فعلمه عز وجل محيط بجميع خلقه وهو على عرشه وهذا قول المسلمين» أ هـ

قلت: وإلى مثل أقوال هؤلاء الأئمة ذهب البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٤١) و «الإعتقاد» (ص٧٠) وابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث»(ص ١٨٢)، وابن عبد البر في «التمهيد»(٧/١٣٨-١٣٩)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧/١٢٤ و٢٨/١٠) وعلي بن المديني كما في «العلو» للذهبي (ص ١٢٩) وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/١٦١و ١٨٨) والشوكاني في «فتح القدير» (٥/١٦٦ و١٨٧) وغيرهم كثير لو جمعنا أقوالهم لبلغت مئين أو ألوفاً.

وكذلك فإن الله يخص بعض عباده كالأنبياء والمتقين بالنصر والإعانة والتأييد.

قال الإمام أحمد في «الرد على الجهمية» (ص٥٢) «باب بيان ذكر الله في القرآن ﴿**وهو معكم**﴾ وهذا على وجوه قال جل ثناؤه لموسى ﴿**إنني معكما**﴾ يقول في الدفع عنكما وقال: ﴿**ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾ يقول يعني في الدفع عنا وقال: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾ يقول في النصر لهم على عدوهم وقال: ﴿ **ولا تهنوا**

وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم﴾ في النصر لكم على عدوكم وقال: ﴿ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ يقول بعلمه فيهم وقال: ﴿فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا المدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾ يقول في العون على فرعون» أ.هـ

قلت: فمن أراد تفسير «المعية» فلينظر إلى السياق والسباق لأنهما من المقيدات.

ولله در القائل:

تدبر كلم الله واتبع الخبر ودع عنك رأياً لا يلائمهُ الأثر

وصدق من قال:

وهذا هو الحق ليس به خفاء فدعني من بُنَيَّات الطريق.

[تكميل]

ذهب الشوكاني رحمه الله في «التحف في مذاهب السلف» (٢/ ٩٥- ٩٦ الرسائل المنيرية) إلى أن تفسير قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ [المجادلة: ٧] إنما هو شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم.

قلت: كأن الشوكاني لم يقف على قول مقاتل بن حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ الآية فقال: هو على عرشه وعلمه معه (٥٩)

(٥٩) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (ص٧١) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أصل السنة والجماعة» (٣/ ٤٠٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٤٢) وأبو =

وسئل سفيان الثوري رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ فقال: علمه(٦٠).

وحسبك أيها القارىء أن ابن عبد البر رحمه الله نقل إجماع الصحابة والتابعين على هذا التفسير في «**التمهيد**»(٧/١٣٨ - ١٣٩).

ولا تنس أن الشوكاني رحمه الله أثبت هذا التفسير في «تفسيره» المسمى بـ «فتح القدير» فقال (٥/١٦٦). ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾

= داود في «مسائل الإمام أحمد» (ص ٢٦٣) وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «مجموع الفتاوي» (٥/٤٩٦) لابن تيمية من طريق نوح بن ميمون حدثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان.

قلت: هذا إسناد حسن

وفي رواية للبيهقي (ص ٥٤١) والآجري في «الشريعة» (ص ٢٨٨) وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «مجموع الفتاوي» (٥/٤٩٥) وابن جرير في تفسيره (٢٨/١٠) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (ص ٧١) عن مقاتل بن حيان عن الضحاك به.

قلت: وهو إسناد حسن أيضاً.

وفي رواية لابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في مجموع الفتاوي» (٥/٤٩٥) عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس

قلت: وهو إسناد حسن أيضاً

[تنبيه] مقاتل بن حيان الذي عليه مدار هذه الأسانيد

(٦٠) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (ص ٧٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٠١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٥٤١، والآجري في الشريعة (ص ٢٨٩) من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن عبد الله بن موسى العيني ثنا مروان قال سألت سفيان وذكره.

قلت: معدان لم أقف على ترجمته، وقد وقع موصوفاً عند البيهقي بـ «العابد» وعند الآجري خالد بن معدان وهو تطبيع لأن خالد بن معدان تابعي.

ولكن نقل شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥/٤٩٦) ومؤرخ الإسلام الذهبي في «العلو» (ص ١٠٣) قول ابن المبارك: «إن كان أحد بخرسان من الأبدال فمعدان» لذلك اطمأن قلبي لهذا الخبر فأوردته والله أعلم.

أي بقدرته وسلطانه وعلمه» وقال (٥/١٨٧): ومعنى ﴿أينما كانوا﴾ إحاطة علمه بكل تناج يكون منهم في أي مكان من الأمكنة»

لذلك لا تهولنَّك هذه المخالفة التي ادعاها الشوكاني لما قد جاءك من البَيِّنات فإن لكل عالم هفوة.

فصل

في الأحاديث التي لا أصل لها والموضوعة التي احتج بها نفاة العلو من الجهمية والصوفية الحلولية الإتحادية.

١ ـ قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ على جميع بريته فلا يخلو منه مكان.

أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٣٢) وقال: «هذا حديث منكر عن ابن عباس ونقلته مجهولون ضعفاء فأما عبدالله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان وإبراهيم بن عبدالصمد مجهول لا يعرف وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الإحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا أو أنصفوا».

قلت: هذا الأثر موضوع لأن عبد الوهاب بن مجاهد متروك اجمعوا على ترك حديثه وكذبه الثوري.

٢ ـ وهو الآن على ما عليه كان:

قال شيخ الإسلام في «الرسائل والمسائل» (٤/١٠٥): «كذب مفتري على رسول الله ﷺ اتفق أهل العلم بالحديث أنه موضوع مختلق مفترى وليس هو في شيء من دواوين الحديث لا كبارها ولا صغارها ولا رواه أحد من أهل العلم بإسناد صحيح ولا ضعيف ولا

بإسناد مجهول».

وأقره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٢٨٩) فقال: تنبيه: وقع في بعض الكتب في هذا الحديث «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان» وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث نبه على ذلك العلامة تقي الدين بن تيمية.

٣ ـ كنت كنزاً مخفياً لا أُعرف فخلقت الخلق وتعرفت بهم فبي عرفوني.

لا أصل له: قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٢٢ و٣٧٦): «هذا الحديث ليس من كلام النبي ولا أعرف له إسناداً صحيحاً ولا ضعيفاً».

وتبعه الحفاظ كابن حجر والزركشي والسخاوي كما في «المقاصد الحسنة» (ص ٣٢٧)، وابن الديبع في «تمييز الطيب من الخبيث» (ص ١٤٢) والسمهودي في «الغماز على اللماز» (ص ١٠٥)، والحوت في «أسنى المطالب» (ص ١٤٣) والقاري في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ص ١٤١)، والألوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ٢١).

وقال السيوطي في «الدرر المنتثرة» (ص ١٤٧): «لا أصل له».

٤ ـ ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» لا أصل له: وهو من طامات الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٥) حيث قال: «وفي الخبر قال الله تعالى (وذكره بزيادة لم أرها عند غيره)».

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٢٢ و٣٧٦): «الحمد لله هذا ما ذكره من الإسرائيليات ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ».

ونقل ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/١٤٨) عن ابن تيمية أنه قال موضوع.

وقال السيوطي في «ذيل الموضوعات» (ص ٢١٣) وهو كما قال» وقال في «الدرر المنتثرة» (ص ١٥٧): «لا أصل له».

وأقر القاري في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ص ١٦٤) ابن تيمية والسيوطي والزركشي. وقال: «لا يعرف له إسناد موضوع».

وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» (٣/١٥): «لم أرَ له أصلاً». وأقره الزبيدي في «اتحاف السادة المتقين» (٧/٢٣٤) ثم قال: «وسبقه ابن تيمية الحافظ فقال هو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ»

وأقره أيضاً السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ٣٧٣) ونقل قول ابن تيمية وقال: «ورأيت بخط ابن الزركشي سمعت بعض أهل العلم يقول هذا حديث باطل وهو من وضع الملاحدة.

٥ ـ القلب بيت الرب.

قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٨/١٢٢ و٣٧٦): «وما يروى القلب بيت الرب هذا من جنس الأول ـ أي من الأسرائيليات ـ فإن القلب بيت الإيمان بالله تعالى ومحبته».

ووافقه السيوطي في «ذيل الموضوعات» (ص٢٠٣) وابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/١٤٨).

قال السيوطي في «الدرر المنتثرة» (ص ١٤٣): «لا أصل له».

قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ٣٠٨): «ليس له أصل في المرفوع والقلب بيت الإيمان ومعرفته ومحبته».

ووافق العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/١٢٩) الزركشي والسخاوي والسيوطي وقال (٢/١٢٩ - ١٣٠): «ليس له أصل في المرفوع والقلب بيت الإيمان بالله ومعرفته ومحبته».

ونقل السمهودي في «الغماز على اللماز» (ص ٩٩) عن ابن حجر أنه قال: «ليس له أصل في الموضوع».

وقال الحوت في «أسنى المطالب» (ص ٢٧٢): «لا أصل له بل هو من كلام الصوفية».

٦ ـ من عرف ربه عرف نفسه.

لا أصل له وقد مضى (ص)[٦١].

---

(٦١) الأحاديث (٢ - ٦) الواردة في هذا الفصل مأخوذة باختصار من كتابي «القول الفصل في الأحاديث التي ليس لها أصل وأثرها السيِّء في العقيدة والفقه والأخلاق» يسر الله إتمامه ونشره بمنه وكرمه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حقيقة مذهب الخلف

عندما يبلغ القلم نهاية مذهب الخلف يتعثر حياء من الله سبحانه وتعالى لأنه يؤدي ـ كما هو الظاهر ـ إلى أن الله غير موجود، وهذا هو التعطيل المطلق والجحود الأكبر تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وربما استبعد هذا مستبعد واستنكره مستنكر وقال: إن في كلامي هذا مبالغة وتهويلاً وتشنيعاً وتطويلاً وأن الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت إليها.

فأقول: خذ جملة البلوى ودع عنك تفاصيلها واسمع ما يسك سمعك ولولا هذا الإلحاح منك ما سمعته ولا جرى قلمي بمثله فها هم يقولون في كتبهم المساة ظلماً وتدليساً بعلم التوحيد أو علم أصول الدين «الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف ولا داخل العالم ولا خارجه» وزاد البيجوري في «حاشيته» (ص ٥٥): لا متصلاً بالعالم ولا منفصلاً».

قلت: هؤلاء القوم ضيعوا ربهم فضيعهم الله في ظلمات الحيرة فكانوا أكثر الناس شكاً عند الموت حتى تمنوا أن يلقوا الله على دين العجائز.

قال ابن تيمية في «التدميرية» (ص ٤١): «ولهذا قال محمود

سبكتكين لمن ادعى ذلك الكلام في الخالق: ميّز لنا بين هذا الرب الذي تعبده وبينَ المعدوم».

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله:

المجسمُ يعبدُ صنماً والمعطّل يعبدُ عدماً

وقال ابن عبد البّر رحمه الله في «التمهيد» (٧/١٤٥): «... وأما أهلُ البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلّهم ينكرها ولا يحملُ شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبّه وهم عند من أثبتها نافونَ للمعبود».

وعلّق مؤرّخُ الإسلام الذهبي رحمهُ الله في «العلو» (ص ١٨٢) على كلمة ابن عبد البر فقال: «صدَق والله إنَ من تأوّل سائر الصفات وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام أدّاه ذلك السلب إلى تعطيل الرب وأن يشابه المعدوم كما نُقل عن حمّاد بن زياد أنه قال: مثلُ الجهمية كقومٍ قالوا في دارنا نخلة قيل لهم: لها سقف؟ قالوا: لا قيل: فلها كرب؟ قالوا: لا. قيل: لها رطبٌ وقنع؟ قالوا: لا. قيل: لها ساق؟ قالوا: لا. قيل: فما في داركم نخلة».

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ثَبَت المراجع والمصادر

- الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن الأشعري، تحقيق دكتورة فوقية حسين، دار الانصار، مصر ـ القاهرة.
- اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية.
- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عنان، مطبعة الخانجي، مصر.
- أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، تحقيق صبحي السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد البر، على هامش الإصابة، مؤسس الرسالة، بيروت.
- أسد الغابة: عز الدين بن الاثير، دار الفكر.
- الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية ، بيروت
- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: أحمد بن الحسين البيهقي، تعليق كمال الحوت عالم الكتب، بيروت.
- الإفادات والإرشادات: إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق الدكتور محمد أبو الأجفاد مؤسسة الرسالة، بيروت .

- الإكليل في المتشابه والتأويل: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، طبع في مصر.
- الأم: الشافعي. دار المعرفة، بيروت.
- الإيمان؛ ابن أبي شيبة، دار الأرقم، الكويت.
- الإيمان: ابن تيمية. المكتب اسلامي، بيروت.
- الإيمان: ابن منده، تحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي، مطبوعات المجلس العلي في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- تأويل مشكل القرآن: محمد بن عبدالله بن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، المكتبة العلمية.
- تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري، دار القلم، بيروت.
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.
- التاريخ الكبير: محمد بن اسماعيل البخاري. طبع الهند.
- تبيين كذب المفتري: ابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تحفه الأشراف: عبد الرحمن بن يوسف المزي، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، الدار القيمة، الهند.
- التحف في مذاهب السلف: محمد بن علي الشوكاني، مجموعة الرسائل المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير. أحمد بن علي بن حجر، تحقيق عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة.
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار المعرفة، بيروت.
- تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، بيروت.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: يوسف بن عبد البر،

الجزء السابع تحقيق عبدالله بن الصديق الغماري، طبعة الحكومة المغربية.
- تنوير الحوالك ، السيوطي.
- تهذيب التهذيب: احمد بن علي بن حجر، طبع الهند.
- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: ابن خزيمة، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.
- الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم، طبع الهند.
- جزء القراءة خلف الإمام: محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق فيفي الرحمن الثورة المكتبة السلفية، لا هور ـ باكستان.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني، دار الفكر.
- خلق افعال العباد: محمد بن اسماعيل البخاري، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
- الدر المنثور في التفسير المأثور: السيوطي. دار الفكر.
- ذكر أخبار اصبهان: أبو نعيم، طبع ليدن.
- رد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد: الدارمي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- الرد على الجهمية والزنادقة، أحمد بن حنبل، تحقيق اسماعيل الانصاري: طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.

- الرد على الجهمية: عثمان بن سعيد الدارمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الوسائل والمسائل: ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرسالة: الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر.
- الرسالة التدمرية: ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية: عبد العزيز بن سليمان.
- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، المكتب الإسلامي.
- سؤ الات الأجري لأبي داود: تحقيق محمد علي قاسم العمري، مطبوعات المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- السنن: ابن ماجه: دار إحياء التراث العربي في بيروت.
- السنن: أبو داود: دار الفكر.
- سنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر.
- السنة: ابن ابي عاصم، تخريج محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الاسلامي بيروت.
- السنة: عبدالله بن احمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سير أعلام النبلاء: الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: للالكائي، تحقيق أحمد سعد الحمداء دار طيبة، الرياض
- الشرح الجديد لجوهرة التوحيد: محمد أحمد العدوي، مطبعة البابي الحلبي.
- شرح الزرقاني على موطأ مالك بن أنس: محمد الزرقاني، دار الفكر.

- شرح السنة: البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت.
- شرح صحيح مسلم: النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي.
- شرح معاني الآثار: الطحاوي.
- شرح المعلقات السبع: الحسين بن أحمد الزوزني، دار الجيل، بيروت.
- الشريعة: الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت.
- الصحيح: محمد بن حبان، تحقيق حسين أسد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- طبقات الشافعية: عبدالوّهاب بن تقي الدين السبكي، دار المعرفة، بيروت.
- العقائد: حسن البنا، مجموعة رسائل حسن البنا، المؤسسة الإسلامية.
- العقيدة الحموية الكبرى: ابن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى، دار الفكر.

- العرش وما روي فيه: ابن أبي شيبة، مكتبة المعلا، الكويت.
- العلو للعلي الغفار: الذهبي، تحقيق عبد الصمد محمد عثمان، دار الفكر.
- العواصم والقواصم: ابن الوزير، تحقيق شعيب الارنؤوط، دار البشير، ،
- فتح الباري: أحمدبن على بن حجر، دار الفكر.
- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- فتح المغيث في شرح ألفية الحديث: السخاوي. دار الكتب العلمية، بيروت.
- القول الفصل في الأحاديث التي ليس لها أصل: المؤلف، مخطوط.
- كشف الأستار عن زوائد البزار: الهيثمي، مؤسسة الرسالة.
- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر.
- لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر، دار الفكر.
- لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة: محمد مرتضى الزَّبيدي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- لوامع الأنوار البهية: السفاريني، طبعة الحكومة القطرية.
- المجتبى: النسائي، بشرح السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: محمد بن حبان، دار المعرفة، بيروت.
- مجموع الفتاوى: ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم،

طبعة الحكومة السعودية.
- المحدث الفاصل: الرامهرمزي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر.
- مختصر العلو: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت.
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع: ابن خالويه، نشره ج. برحشتدار، دار الهجرة مختصر لوامع الأنوار البهية: محمد بن سلوم، تحقيق محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية.
- مسائل الإمام أحمد: أبو داود، دار المعرفة، بيروت.
- المستدرك على الصحيحين في الحديث: الحاكم، طبع الهند.
- المسند: أبو عوانة، دار المعرفة، بيروت.
- المسند: أحمد بن جنبل، دار الفكر.
- المسند: الحميدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسند الشهاب: القضاعي، مؤسسة الرسالة.
- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: محمد الغزالي، كتاب مجلة الأمة.
- معالم التنزيل: البغوي، دار المعرفة.
- المعجم الصغير: الطبراني، دار الكتب العلمية.
- المعجم الكبير: الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، طبعة الحكومة العراقية.
- المعرفة والتأريخ: يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق، أكرم ضيا العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود: أحمد البنا الساعاتي، المكتبة الإسلامية، بيروت.

- المنتقى: عبد الله بن علي بن الجارود، طبع عبد الله هاشم اليماني.
- الموطأ: مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- نظم المتناثر في الحديث المتواتر: الكتاني، دار الكتب العلمية.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت
- النكت على كتاب ابن الصلاح: أحمد بن علي بن حجر، تحقيق الدكتور ربيع بن هادي، مطبوعات المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية المدنية المنورة.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، المكتبة الإسلامية.
- هموم داعية: محمد الغزالي، طبع قطر.
- الوصية الصغرى: ابن تيمية، تحقيق وتخريج المؤلف، الطبعة الأولى.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
حديث الجارية رواية	٩
حديث الجارية دراية	٣٣
١ ـ كتاب الله عز وجل	٤٠
٢ ـ السنة النبوية الصحيحة	٦٠
٣ ـ الإجماع	٦٢
٤ ـ الفطرة	٦٣
٥ ـ العقل	٦٤
النتيجة	٦٦
النووي وحديث الجارية	٦٩
الغزالي وحديث الجارية	٨١
حقيقة مذهب الخلف	١٠١
ثبت المراجع والمصادر	١٠٣

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مطابع القبس التجارية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com